صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل
وأثر الإيمان بها في حياة المسلم

د. سالم بن محمد القرني
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد

ملخص البحث

اشتمل البحث على : مقدمة : فيها أهميته ، وسبب اختياره ، والخطة التي سرتُ عليها فيه .

ثُم تسعة مباحث ؛ بينت في الأول معنى الرضا في اللغة والشرع .

وفي الثاني : قاعدة جامعة في إثبات الأسماء والصفات ، والأسس التي يقوم عليها هذا التوحيد عند السلف، رحمه ا

وفي الثالث : ذكرت الأدلة على إثبات صفة الرضا - تعالى - ، من القرآن ، والسنة ، والأثر ، ودلالة العقل عليها

وفي الرابع : بينت اعتقاد السلف - أهل السنة والجماعة - في صفة الرضا .

وفي الخامس : بينت أن صفة الرضا ذاتية لاتنفك عن ا - تعالى - ، وفعلية اختيارية ، تتعلق بمشيئته وإرادته .

وفي السادس : أن صفة الرضا غير مخلوقة ، وأن من قال إنها مخلوقة فقد خالف الحق والصواب .

وفي السابع : ناقشت المخالفين لدلالة القرآن والسنة والأثر والعقل في صفة الرضا ، من الجهمية، والمعتزلة ومن وافقهم ، ورددت قولهم في أنها مخلوقة منفصلة عن ا .

وقول الكلابية وموافقيهم من السالمية ، في زعمهم أنها صفة ذات لا صفة فعل ، وأنها لو كانت صفة فعل لكانت مخلوقة .

كما بينت الجواب عن شبهة التجسيم ، وذكرت الردود العامة على من نفى صفة الرضا عن ا - تعالى - .

وفي الثامن : أوضحت أثر الإيمان بصفة الرضا في حياة المسلم ، وثمرته ، ومنزلته ، وفضله ، وما يترتب على ذلك في الآخرة من التنعم برضا ا - تعالى - ، وأنه أكبر من كل نعيم ، وأن أثـره في القبول أكبر من كل أثر .

وفي التاسع : ذكرتُ بعض أسباب تحقق الرضا للمؤمن من الحمد ، والشكر ، والشوق إلى لقاء ا ، والمبادرة إلى طاعاته ، وإن اكتنفها مشقة ، وخوف ، أو نحو ذلك .

ثُم ختمتُ البحث بذكر نتائجه على وجه الاختصار .

وا الموفق ،،،

• • •

المقدمة :

إن الحمد ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ با من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده ا فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا ا وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى ا عليه وعلـى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً - أما بعد :

فلقد امتن ا عزوجلّ على عباده أعظم منة ، فأرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، تلوا عليهم آياته ، وبصروهم بسبل مرضاته ، وكان خاتمهم وآخرهم وسيدهم ولا فخر محمد ﷺ الذي هدى أمتـه إلى الصراط المستقيم الذي لا عوج فيها فلم يكن للعباد غنية عن هذه النعمة ؛ لأنهم لولاها لوكلوا إلى عقولهم وأهوائهم ، فضلوا وأضلوا ، وما أمكن أحد من الخلق أن يعلم التحريم من التحليل ، ولا الغيب من الشهادة ، ولا عرف ثواباً ولا عقاباً ، ولا بعثاً ولا حساباً ، ولا تميز حق من باطل ولا كفـر مـن إيمان ولا عبادة لإبليس من عبادة الرحمن فيكون الخالق عبثاً لا حكمة وراءه ولا معنى وهذا ما يتـنزه عنه الحكيم الخبير { أَفَحسِبتُم أَنما خَلَقْنَـاكُم عبثًا وَأَنكُم إِلينَا لا تُرجعون ، فَتَعـالى الله الْملِك الْحق لا إِله إِلا هو رب الْعرش الْكَرِيمِ }([١]) .

فلم يدع العليم الخبير تقويم السلوك لعقل الإنسان المجرد وإنما جعله أداة يعقل بهـا مـراده بـه سبحانه وتعالى فهو تبع لوحي ا وتشريعه ، ليس له حق الابتداء على الخـالق ، وإنشـاء الأحكـام والتشريع .

فكانت أمة محمد ﷺ - أتباعه وأصحابه ومن سار على نهجه - خير أمة في عقيدتها وسـلوكها وتفكيرها ، في عملها وأدائها لواجباتها ، في ترابطها وتضامنها ، في انضباطها وأمنها ، وتسليمهـا لأمر ا وسنة نبيه محمد ﷺ ، فأسست بنيانها على تقوى من ا .

{ أفمن أسس بنيانه على تقوى من ا ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هـار فانهار به في دار جهنم وا لا يهدي القوم الظالمين }([٢]) ، { أفمن اتبع رضـوان ا كمـن بـاء بسخط من ا ومأواه جهنم وبئس المصير }([٣]) .

عرفت أمة محمد – ﷺ- ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، بتعليم ربها سبحانه ومعلمها وهاديهـا ونبيها عليه الصلاة والسلام . ثُم عملت بأمره واجتنبت نهيه ، فكانت خير أمة أخرجت للناس : { كُنتُم خَير أُمةٍ أُخْرِجتْ لِلناس تأْمرون بِالمعروفِ وتَنْهون عن الْمنكر وتُؤْمِنُون بِاللهِ ولَوءَامن أَهلُ الْكتَـابِ لَكان خَيرا لَهم مِـنْهم الْمؤْمِنُون وأَكْثَرهم الْفَـاسِقُون }([٤]).

إن الفلاح كل الفلاح معرفة ا بأسمائه وصفاته ، وتوحيده وحده لا شريك له في عبادته ولا في ملكه ولا في أمره له الخلق وحده ، وله الأمر وحده ، فله العبادة وحده .

وبهذا تكون النجاة من الهلاك والضياع والدمار المادي والمعنوي .

ولقد علق ربنا سبحانه وتعالى فلاح العباد وفوزهم بطاعة الرسول – ﷺ - : {إنما كـان قـولَ الْمُؤْمِنِيـن إِذَا دعوا إِلي اللهِ ورسولِهِ لِيحكُم بينَهم أَن يقُولُوا سمِعنَا وأَطَعنَا وأُولَئِك هـم الْمفْلِحـون، ومن يطِعِ الله ورسوله ، ويخْشَ الله ويتقْهِ فَأُولَئِك هم الْفَآئِزون }([٥]) .

عرفوا ا واتبعوا أمره ؛ يبتغون بذلك رضوانه ، فكانوا مثلاً يحتذى به ، وقدوة صالحة لكل الأمم قبلهم وبعدهم : { محمد رسولُ اللهِ والَّذِين معه أَشِداَّء على الْكُفار رحماَء بينَهم تَـراهم ركعـا سجدا يبتَغُون فَضلاً مـن اللهِ ورضوانًا سِيماهم فِي وجوهِهِم مـن أَثَرِ السجودِ ذَلِك مثَلُهم فِي التـوراةِ ومثَلُهم فِي الإِنْـجِيل كَزرعٍ أَخْرج شَطْـئَـه فَـآزره فَاستَغْلَظَ فَاستَوى على سوقِهِ يعجِب الزراع لِيغِيظَ بِهِم الْكُفار وعد الله الَّذِين ءامنُوا وعمِلُوا الصـالِحـاتِ مِنْهم مغْفِرةً وأَجرا عظِيما }([٦]) .

أما من خالف سنة المصطفى - ﷺ- في القول والفعل ، فيما يعقل ويعلم ، وفيما يعمل؛ فإنـه لا حياة له في الدنياعلى الحقيقة ، ومآله في الآخرة الإهانة والفضيحة : { ومن يعص الله ورسوله ويتَعد حدوده يدخِلْه نَارا خَـالِدا فِيها وله عذَاب مهِيـن }([٧]) ، { ومن يعص الله ورسوله فقَد ضل ضلالاً مبِينًا }([٨]) ، { ومن أَعرض عن ذِكْري فَإِن له معِيشَةً ضنكًا ونَحشُره يوم الْقِيامةِ أَعمى ، قَالَ رب لِم حشَرتَنِي أَعمى وقَد كُنتُ بصِيرا ، قَالَ كَذَلِك أَتَتْك ءايـاتُنَا فَنَسِيتَها وكَذَلِك الْيوم تُنسى }([٩]) .

فهما طريقان لا ثالث لهما : اتباع للرسول وطاعته ، أو اتباع للهوى ، فمن لم يتبع الرسول اتبع الهوى ولابد :{ ولاَ تَتبِعِ الْهوى فَيضِلَّك عن سبِيلِ اللهِ }([١٠]) ، فاتباع محض العقول دون ماجاء به الرسول اتباع للهوى وعدول عن الصراط المستقيم .

{ وأَن هذَا صِراطِي مستَقِيما فَاتبِعوه ولا تَتبِعوا السبلَ فَتَفَرقَ بِكُم عن سبِيلِهِ ذَلِكُم وصـاكُم بِـهِ لَعلَّكُم تَتقُون }([١١])

فالصراط المستقيم واحد ، والحيد عنه يكون إلى سبل متشعبة ترجع إلى اتباع الهـوى باتبـاع الشيطان ولقد صور ذلك رسول ا - ﷺ- فيما رواه عنه ابن مسعود - رضي ا عنه - قال : خـط لنا رسول ا -ﷺ- خطاً ، ثم قال : { هذا سبيل ا } ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شـماله ، ثـم قال : { هذه سبل متفرقة ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليـه } ثـم قـرأ : { وأَن هـــــذَا صِراطِي مستَقِيما فَاتبِعوه ولا تَتبِعوا السبلَ فَتَفَرقَ بِكُم عن سبِيلِهِ }([١٢])([١٣]) .

وكان الصحابة والتابعون والسلف الصالح على منهج الهدى واتباع الرسول -ﷺ- .

ثم خلف من بعدهم خلف لم يقنعوا بوحي ا وتشريعه ، ورأوا أن هناك حاجة إلى ما زعموا من تصحيح وزيادة وحذف فأعملوا عقولهم ، وأخضعوا الوحي لها ، فتشعبت السبل بالناس ، ووقـع مـا خاف من وقوعه النبي -ﷺ- كما قال :{ إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين }([١٤]) .

وكما قال : { إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفـروجكم ومضـلات الهـوى }([١٥]) .

فوقع الاختلاف ، وحصل الجدل بالباطل ، وزين ذلك إبليس في أعين كثير من الناس، وحسبـوه عين العقل والاستقامة .

ولما كانت مسائل الأسماء والصفات من أعظم مطالب الدين ، وأشرف علوم الأولين والآخرين ، وأدقها في عقول أكثر العالمين - كان من أعظم ما حصل فيه الاختلاف مـا أحدثتـه المبتدعـة مـن الخوض في ذات ا وأسمائه وصفاته .

ومن أبين ذلك ما أحدثته الجهمية([١٦]) من وصف الباري سبحانه بالنقائص ، وتعطيل صـفات

الكمال التي أثبتها لنفسه وأثبتها له أعلم الخلق به رسول ا -ﷺ- ، فاعتقـدوا أن صـفات ا ليست على الحقيقة ، بل هي مجاز ، وأراد مؤسس منهجهم إبطال الرسالة ، كما يتضح ذلك من قوله : { ... لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصاحف } يقصد : {الرحمن على العرش اسـتوى }([17]) .

وتأثر كثير من المسلمين بذلك ، وخاضوا في ذلك ، فتفرقت الكلمة ، وأعجب كل حزب برأيـه ، فظهر من نفى أسماء ا - تعالى - وصفاته ، وظهر من نفى صفاته مع إثبات أسمائه ، وظهر مـن أثبت الأسماء وبعض الصفات ، وكان التأويل المذموم ، وانحرف كثير مـن النـاس بهـذه الطـرق والمناهج المبتدعة ، وما يزال التأثر بها قوياً ، رأينا أثره ، ولمسنا نتائج التساهل بـه عنـد بعض المتعلمين ، خاصة في هذا العصر الذي اختلطت فيه الثقافات ، وكثرت وسائل النشر لهذه الاعتقـادات وأصبح الحق فيه عند بعض الناس غريباً ، واستعمل العقل في كثير من العلوم بعيداً عـن الوحـي ، وقلت منزلة وعظمة أسماء ا وصفاته ، التي تزيد الإيمان وتشعر العبد بعظمة الخالق الديان ، وأنـه الواحد الفرد الصمد ، الذي تصمد إليه كل الخلائق هو وحده - سبحانه - المتصرف في هذا الكون ، له الكمال المطلق في ذاته وصفاته .

ولكن ضعف هذا الاعتقاد في نفوس كثير من المسلمين ، الذين تأثروا بالفلسفات الغربية الحديثة والقديمة ، وأصبحوا في حاجة إلى معرفة ا تعالى بأسمائه وصفاته ، كمـا يستحـق - سـبحانه - لتنتظم حياتهم وتصح عبوديتهم له ، وطاعتهم لشرعه ، ولاشك أن من لم يعظـم ويثبـت صـفاته - سبحانه - على ما يليق به إثباتاً صادقاً يستشعر فيه عظمة ا - تعالى - فإنه سيقصر فـي امتثـال شرعه والعمل بأحكامه .

فالجهم بن صفوان([18]) المنكر لصفات ا ، لما أنكرها وأنكر أسماءه - سـبحانه - ضـعف يقينه با ، حتى شك في وجوده ، وذكر أنه بقي أربعين يوماً لايصلي حتى يثبت أن له ربـاً يعبـده([19]) .

فلا عبادة صحيحة ولا عمل بشرعه إلا بإثبات ربوبية ا - سبحانه - وعظمته وكماله بأسمائه وصفاته .

ويهدف هذا البحث في صفة الرضا إلى طريقة إثبات هذه الصفة ، والتعريف بها ؛ من نصـوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وإلى كشف الزيف الذي تلبست به في كثير من كتب أهل الكلام .

كما يهدف تجلية القاعدة الضابطة في إثبات هذه الصفة ، كغيرها من صفات ا - عز وجـل - الموضوعة حماية للعقول والقلوب من الانحراف في توحيد الأسماء والصفات : أهم مباحث الاعتقـاد المصحح لسير العباد على منهج شرع ا القويم .

فهذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح ، والأئمة الحنفاء ، وسار عليه أتباعهم بإحسان من بعدهم ، وإن من مهمات هذا البحث بيان فساد الانحرافات التي شط أصحابها عن منهج أهل السنة والجماعة في صفة الرضا ، بل وعن منهج القرآن والسنة من قبل ومن بعد .

وبيان معرفة هل صفة الرضا من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية .

ثُم أثر الإيمان بثبوت هذه الصفة على سلوك العبد ، والتزامه شرع ا تعالى وسنة نبيه - ﷺ - .

ولهذا كله عزمت أن أذكر مذهب السلف ومن اتبعهم بإحسان - رحمة ا عليهم - فـي صفة

الرضا ؛ ليسلك سبيلهم من أحب الاقتداء بهم والكون معهم في الدار الآخرة ، إذ كان كل تابع في الدنيا مع متبوعه في الآخرة ، وسالك حيث سلك موعوداً بما وعد به متبوعه من خـير أو شـر ، دل على هذا قوله تعالى : { والسـابِقُون الأولُون مِن الْمهاجِرِين والأنصار والـذِين اتبعـوهم بِإحسـانٍ رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه }([٢٠]) .

فكذلك كل من اتبع إماماً في الدنيا في سنة أو بدعة أو خير أو شر كان معه في الآخرة.

فمن أحب الكون مع السلف الصالح في الآخرة ، وأن يكون موعوداً بما وعدوا به مـن الجنـات والرضوان ، فليتبعهم بإحسان : { وعد الله الذِين ءامنُوا مِنكُم وعمِلُوا الصـالِحـاتِ ليستخْلِفنهم فِـي الأرض كما استخْلف الذِين مِن قبلِهم وليمكنن لهم دِينهم الذِي ارتضى لهم وليبدلنهم مِن بعدِ خوفِهـم أمنًا يعبدونَنِي لا يشْرِكُون بِي شيئًا ومن كفر بعد ذلِك فأولئِك هم الْفاسِقُون }([٢١]) ، { وعـد اللـه الْمؤْمِنِيـن والْمؤْمِناتِ جنـاتٍ تجرِي مِن تحتِها الأنْهار خالِدِين فِيها ومساكِن طيبةً فِي جنـاتِ عـدنٍ ورضوان مـن اللهِ أكْبر ذلِك هو الْفوز الْعظِيم }([٢٢]) .

ومن اتبع غير سبيلهم دخل في عموم قوله تعالى : { لا خير فِي كثِيرٍ مـن نجواهم إلا من أمـر بِصدقةٍ أو معروفٍ أو إصلاحٍ بين الناس ومن يفْعلْ ذلِك ابتِغاء مرضاتِ اللهِ فسوف نُؤْتِيهِ أجرا عظِيما ، ومن يشاقِقِ الرسول مِن بعدِ ما تبين له الْهدى ويتبِع غير سبِيلِ الْمؤْمِنِيـن نُولهِ ما تولـى ونُصلِـهِ جهنم وساءتْ مصِيرا }([٢٣]) .

وقد جعلت عنوانه { صفة الرضا بين الإثبات والتعطيل وأثر الإيمان بها في حياة المسلـم وبعـد مماته } وكان بعد هذه المقدمة في عدة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الرضا في اللغة والشرع .

المبحث الثاني : قاعدة في إثبات الأسماء والصفات .

المبحث الثالث : في إثبات صفة الرضا .

أ) - بالقرآن الكريم .

ب) - بالسنة النبوية .

جـ) - بالأثر .

د) - بالعقل .

المبحث الرابع : في فضل صفة الرضا .

المبحث الخامس : صفة الرضا غير مخلوقة .

المبحث السادس : صفة الرضا ذاتية فعلية .

المبحث السابع : في مناقشة المعطلة لصفة الرضا .

المبحث الثامن : في أثر الإيمان بصفة الرضا في حياة المسلم وبعد مماته .

المبحث التاسع : في بعض أسباب حصول الرضا .

ثُم الخاتمة .

وقد خرجت الأحاديث ، وعرفت بالأعلام غير الصحابة والمشهورين ، والفرق والملل، ووضـعت فهارس عامة للآيات والأحاديث والآثار والأشعار والمراجع ومباحث الكتاب .

وحسبي أني اجتهدت في بيان الحق لرضا ربي ورب الخالق ، وأسأل ا لي ولوالـدي المغفـرة والرضوان ، وإخلاص النية في الابتداء وحسن العمل وحسن المآل ، وصلى ا على نبينا محمد وآله

وصحبه الكرام .

المبحث الأول : الرضا في اللغة والشرع

الرضا : مقصور ، مصدر رضي يرضى ، وهو ضد السخط ، والسخط : الكراهية للشيء وعـدم الرضا به([٢٤]) .

والرضا من صفات القلب والذات ، ومن صفات الأفعال([٢٥]) ، ورضي عنه وعليه ، ورضـيت الشيء ارتضيه ، فهو مرضي ومرضو([٢٦]) .

والرضا متضمن معنى الحب والإقبال ، ويعدى بـ على حملاً للشيء على نقيضه([٢٧]) .

وفي التنزيل { رضِيَ الله عنْهم ورضوا عنْه "}([٢٨]) ، ومعناه : رضي عنهم أنفسهم ، ورضي أفعالهم ، ورضوا عن ربهم وعن ماجازاهم به([٢٩]) .

وأرضاه أعطاه ما يرضى به ، عكس ترضاه : أي طلب رضاه([٣٠]) .

والرضوان بالكسر ، والرضوان بالضم ، والمرضاة مثله مصدر([٣١]) .

ويمد الرضاء إذا كان بمعنى المراضاة ، ويقصر إذا كان مصدر رضي يرضـى فيكـون مصـدراً محضاً([٣٢]) .

وقد جاءت نصوص إثبات صفة الرضا - تعالى - في النصوص الشرعية بصيغة الماضـي ، كما في قوله تعالى: {رضِيَ الله عنْهم ورضوا عنْه }([٣٣]) ، وقولـه : { لقَـد رضِـيَ اللـه عـن الْمؤْمِنيـن إِذْ يبايِعونَك تَحتَ الشجرةِ }([٣٤]) . وقوله : {إِلا من أَذِن له الرحمـن ورضِي له قَولاً }([٣٥]) ، { ورضِيتُ لَكُم الإِسلام دِينًا }([٣٦]) ، وقوله : { وليمكنَن لهم دِينَهم الَذِي ارتَضـى لهـم }([٣٧]) ، { ولا يشْفَعون إِلا لِمن ارتَضى }([٣٨]) .

وجاء إثباتها بصيغة المضارع كما في قوله تعالى: { وعجِلْتُ إِلَيك رب لِتَرضى }([٣٩])، وقولـه سبحانه :{ ولا يرضى لِعِبادِهِ الْكُفْر وإِن تَشكُروا يرضه لَكُم }([٤٠]) ، وقوله : { وأَن أَعمـلَ صـالِحا تَرضـاه }([٤١]) ، وقوله : { إِذْ يبيتُون ما لا يرضى مِن الْقَولِ }([٤٢]) ، وقوله : { فَـإِن اللـه لا يرضى عن الْقَومِ الْفَاسِقِيـن }([٤٣]) وغيرها ، وقوله ﷺ: { إن ا ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلـة فيحمده عليها ... }([٤٤]) .

وجاء إثباتها بالمصدر ، كما في قوله : { ومن يفْعلْ ذَلِك ابتِغَآء مرضاتِ اللهِ }([٤٥]) ، وقوله : { ومن الناس من يشْرِي نَفْسه ابتِغَآء مرضاتِ اللهِ }([٤٦]) ، وقوله : { إِن كُنتُم خَرجتُم جِهادا فِـي سبِيلِي وابتِغَآء مرضاتِي }([٤٧]) . وقوله : { يبتَغُون فَضلاً مـن اللهِ ورضـوانًا }([٤٨]) ، وقولـه سبحانه : { ومسـاكِن طَيبةً فِي جنـاتِ عدنٍ ورضوان مـن اللهِ أَكْبـر }([٤٩]) وغيرهـا ، وفـي الحديث :{ ... أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً }([٥٠]) ، وفيه:{ اللهـم إنـي أعـوذ برضاك من سخطك }([٥١]) .

ومعنى الرضا مفهوم معلوم ، وكيفيته مجهولة ، والإيمان برضا ا واجب على ما يليق به - سبحانه وتعالى - .

قال الإمام الطبري في تفسيره : { واختلف في معنى الرضا مـن ا - جـلّ وعـز - ، فقـال بعضهم :الرضا منه بالشيء: القبول له والمدح والثناء .

قالوا : فهو قابل الإيمان ، ومزك له ، ومثن على المؤمن بالإيمان ، وواصف الإيمان بأنه نور وهدى وفضل .

وقال آخرون : معنى الرضا من الله - جلّ وعز - معنى مفهوم ، هو خلاف السخط، وهو صفة من صفاته على ما يعقل من معاني الرضا ، الذي هو خلاف السخط ، وليس ذلك بالمدح ؛ لأن المـدح والثناء قول ، وإنما يثنى ويمدح ما قدر رضي .

قالوا : { فالرضا معنى ، والثناء والمدح معنى ليس به }([٥٢]) .

والصحيح القول الثاني ؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - عظيم ، ومهما تخيل العبـد مـن معانـي العظمة فالله أعظم مما قد يتخيل ، وكذلك صفته ، ولو تخيل الإنسان عظمة صـفات الله ، فصفاتـه - سبحانه - أعظم مما قد يتخيل وكمالها أكبر مما قد يتخيل من الكمال ، فله الكمال المطلق ، وصـفاته كمال مطلق - سبحانه وتعالى - .

قال ابن تيمية - رحمه الله - : { من تصور شيئاً اعتقد أنه حقيقة الرب فالله بخـلاف ذلـك }([٥٣]) .

والله أعلم بحقيقة رضاه سبحانه ، بل بحقيقة كل صفاته ؛ لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين - سبحانه وتعالى - إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد ولا تكييف ؛ وهو إثبات على الحقيقة .

فالرضا صفته - سبحانه - معلوم معناها ، نثبتها على مراده - سبحانه - على الحقيقة، ولانعلم لأحد ممن تقدم أو تأخر أنه يتكلف أو يقصد إلى قول من عنده في صفة الرضا ، أو غيرها من الصفات ، أو في تفسير كتاب الله ، أو معاني حديث رسول الله -ﷺ- ، أو زيادة على ما في النص أو نقصـان منه .

قال ابن خزيمة : { إن الأخبار في صفات الله موافقة لكتاب الله - تعالى - نقلهـا الخلـف عـن السلف قرناً بعد قرن ، من لدن الصحابة والتابعين إلى عصرنا هذا ، على سبيل الصفات لله - تعالى - والمعرفة والإيمان به والتسليم لما أخبر الله - تعالى - في تنزيله ونبيه الرسول -ﷺ- عن كتابه ، مع اجتناب التأويل والجحود وترك التمثيل والتكييف }([٥٤]) .

المبحث الثاني : قاعدة في إثبات الصفات

الأصل الذي تقوم عليه هذه الدراسة هو الوحي المنزل على محمد -ﷺ- فقد جاء معرفاً للعبـاد برب العباد والأصل في توحيد الصفات هو : { أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفته بـه رسله نفياً وإثباتاً ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه }([٥٥]) .

وقد كان السلف - رحمهم الله تعالى - على هذه القاعدة العظيمة وهذا الأصل الشريف ، فيثبتون لله ما أثبته من الصفات ، من غير تكييف ولا تمثيل ، وينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع إثبات ما أثبته من الصفات ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير إلحاد ، لا في أسمائه ، ولا في صفاته ، عمـلاً بقول الله - تعالى - في ذم الملحدين في أسمائه بقوله : {وَلِلهِ الأَسمآء الحسنَى فَـادعوه بِهـا وذَروا الَذِين يلحِدون فِي أَسمائِهِ سيجزون ما كَانُوا يعملُون }([٥٦]) وذم الملحدين في آياتـه بقولـه : {إِن الَذِين يلحِدون فِي ءايـاتِنا لا يخفَون علينا أَفَمن يلقَى فِي النارِ خير أَم من يأْتِي ءامِنًـا يـوم القِيامـةِ اعملُوا ما شِـئْـتُم إِنه بِما تَعملُون بصِير }([٥٧]) .

وهذه الطريق هي الطريق المثلى ، فهي تتضمن إثبات الأسماء والصفـات مـع نفـي مماثلـة المخلوقات ، إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما في قوله - سبحانه وتعالى - :

{ ليس كَمِثْلِهِ شَيء وهو السميع البَصِير }([٥٨]) ، فقولـه - سـبحانه - : { لَيـس كَمِثْلِـهِ شَيء } نفي ورد للتمثيل والتشبيه وقوله - عزوجل - : { وهو السمِيع البَصِير } منـاقض للإلحـاد والتعطيل([٥٩]) .

فهذا المذهب يقوم على أسس سليمة هي :

١) - أن أسماء ا وصفاته توقيفية ، فما أثبته ا لنفسه ، أو أثبته له رسـوله -ﷺ- وجـب إثباته وما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله وجب نفيه ، أما ما لم يرد فيه نفي ولا إثبات ، كالعرض([٦٠]) ، والجسم([٦١]) والجوهر([٦٢]) . فيتوقفون فيه: لايثبتونه ولاينفونه .

٢) - أن ما وصف ا به نفسه فهو حق على حقيقته ، ليس فيه لغز ولا أحـاج ، بـل معنـاه يعرف حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه ، فهم يثبتون ألفاظ الصفات ومعانيها التي تدل عليهـا هـذه الألفاظ .

وبهذا الاعتبار فليس ما وصف ا به نفسه أو وصفه به رسوله ، أو بعضه من المتشابه الـذي لايعلم تأويله إلا ا ويجب تفويض معناه إليه ؛ لأن هذا معناه جعل أسماء ا وصفاته بمنزلة الكـلام الأعجمي الذي لايفهم ، وا تعالى قد أمرنا بتدبر القرآن كله ، وحضنا على عقْلِه وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته ؛ لأن هذا معناه أنه أمرنا باعتقاد ما لم يوضحه لنـا - تعالى ا عن ذلك - ، فمعاني الصفات معلومة عند السلف وكيفيتها مجهولة والإيمان بها واجب ، والسؤال عن كيفيتها بدعة .

وعلى هذا فألفاظ الصفات من قبيل المحكم ، وليست من المتشابه ، فإن معناها واضح ومعروف في لغة العرب التي نزل بها القرآن ، وأما كيفيتها فمما استأثر ا - تعالى - بعلمه ، ومن نسب إلى السلف إدخال أسماء ا وصفاته أو بعضها في المتشابه ، وأنهم يفوضون معناها فقد كذب عليهم .

٣) - أنهم يثبتون الصفات إثباتاً بلا تمثيل ، فلايمثلونها بصفات خلقه : { لَيس كَمِثْلِهِ شَيء وهو السمِيع البَصِير } { ولم يكُن له كُفُوا أَحد } ؛ ولأن العلم بكيفية الصفة يستلـزم العلـم بكيفيـة الموصوف ، وا تعالى - لا يعلم كيفية ذاته إلا هو فالكلام في الصفات فرع عن الكلام في الـذات ، فكما أن ذاتاً لاتشبه الذوات ، فكذلك له صفات لاتشبه الصفات .

٤) - وكما أنهم يثبتون الصفات التي وصف بها نفسه ، أو وصفه بها رسوله ، من غير أن يشبهوها بصفات خلقه فهم كذلك ينزهون ا عن النقائص والعيوب ، تنزيهاً لايفضي بهم إلـى نفـي صفاته وأسمائه الحسنى بتأويل معانيها أو تحريف ألفاظها عن مدلولها ؛ كما يفعله المؤولة ، فمذهبهم في ذلك وسط بين التمثيل والتعطيل ، فتجنبوا التعطيل في مقام النفي والتنزيه ، وتجنبوا التشبيه فـي مقام إثبات الصفات فسلموا من الإفراط والتفريط ، ومن الغلو والتقصير :(الغلو للمشبهة والتقصيـر للمعطلة) .

٥) - طريقتهم فيما يثبتونه من الصفات وما ينفونه عنه من النقائـص هي : الإجمـال في النفي ، والتفصـيل في الإثبات ، دل على ذلك الكتاب والسنة ، كما في قولـه - تعـالى -: { لَيـس كَمِثْلِهِ شَيء وهو السمِيع البَصِير }([٦٣]) فأجمل في النفي ، وهو قوله : { لَيس كَمِثْلِـهِ شَـيء } ، وفصل في الإثبات ، وهو قوله : { وهو السمِيع البَصِير } ، وكما ذكر في آيـة الكرسـي ، وسـورة الإخلاص ، وغيرهما .

ثُم إنه يجب أن يعلم أن النفي الوارد في هذا الباب ليس هو النفي المحض([٦٤]) ، وإنمـا هـو النفي الذي يتضمن إثبات الكمال ؛ لأن النفي المحض لا مدح فيه ؛ لأنه عدم محض والعدم ليس بشيء

، ولذلك فكل النفي الذي جاء في هذا الباب فهو لإثبات ضده من الكمال ، كقولـه تعـالى:{ ولا يظْلِم ربك أَحدا }([٦٥]) أي لكمال عدله، وقوله تعالى :{ ولا يئُوده حِفْظُهما}([٦٦]) أي لكمال قوتـه واقتداره ، { لا تأْخذُه ، سِنَةٌ ولا نَوم } لكمال قيوميته ، وا أعلم .

فهذه القاعدة التي تقوم على هذه الدعائم العظيمة : الإثبات المفصل ، والنفي المجمـل ، وعـدم التكييف والتمثيل ، أو التأويل والتحريف ، لمفضي إلى التعطيل ، هي : القاعدة السليمة السديدة ، التي تدل على علم السلف - رحمهم ا – بحقيقة ما وصف ا به نفسه في كتابه الكريم ، وعلـى لسـان رسوله -ﷺ- .

فكانوا أعرف الناس بربهم - سبحانه - ، وأعلمهم بما يستحقـه - سـبحانه - مـن كمـال ، وأكثرهم تنزيهاً له عما لايليق به - عزوجل - فلم يعطلوه مـن أسـمائه وصـفاته ، أو يكيفوهـا أو يمثلوها بصفات خلقه ، أو يؤولوا نصوصها بغير المعنى المراد تأويلاً أو تحريفاً يفضي إلى تعطيلها أو تعطيل معانيها .

فكانوا أقرب الناس معرفة بمعاني الصفات ، وأبعدهم عن الخوض فيما لم يحيطوا به علماً ممـا أخبر ا - تعالى - عنه من الغيب ، فكما أنهم لم يحيطوا بذات ا علماً ، لم يكونوا يحيطوا بصفاته علماً : إذ الكلام في الصفات كالكلام في الذات ، أو كما قال السلف : { القول في الصفات كالقول فـي الذات }([٦٧]) .

فكما أن له ذاتاً لاتماثل الذوات ، فكذلك له صفات لاتماثل الصفات ، إلا أن صـفاته كانـت دليـل المعرفة به - سبحانه -فهي معلومة المعاني مجهولة الكيف .

فالرضا : صفة ا على الحقيقة ، ولها معنى يميزها عن غيرها من الصفات ، تعرف العرب ذلك من كلامها ، كما قال ابن عباس - رضي ا عنه - : { التفسير على أربعة أوجه : تفسـير تعرفـه العرب من كلامها ، وتفسير لايعذر أحد بجهله وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لايعلمـه إلا ا ، مـن ادعى علمه فهو كاذب }([٦٨]) .

فكيفية صفة الرضا وغيرها من الصفات لايعملها إلا ا ، ومن ادعى علم ذلك فهو كاذب .

أما معناها فذلك مما يعلمه العباد من لغة العرب .

وهذا معنى ما يروى عن أم سلمة([٦٩]) أنها قالت في قول ا -تعالى- :{الرحمن على الْعرش استوى }([٧٠]) : {الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحـود لـه كفر }([٧١]) .

وقال ربيعة بن أبي عبدالرحمن([٧٢]) : { الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومـن ا الرسالة ومن الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق }([٧٣]) .

وقال مالك([٧٤]) لمن سأل عن كيفية الاستواء : { الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وأحسبك رجل سوء ، وأمر به فخرج }([٧٥]) .

فكيفية الصفات - ومنها كيفية صفة الرضا - مجهولة للعباد ، مع العلم بمعانيهـا مـن لسـان العرب ولغتها ، فالإيمان بالصفة - كما أخبر ا بها مع الجهل بكيفيتها - واجب ؛ لأنه مـن الإيمـان بربوبية ا - تعالى - كما قال الرسول -ﷺ- : { رضيتُ با ربا ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمـد -ﷺ- رسولاً }([٧٦]) .

وهذا هو المذهب الأسلم الأعلم الأحكم ، وهو مذهب السلف -رحمهم ا - الذي حكاه الإمام أبو عثمان الصابوني([٧٧])رحمه ا -عنهم بقوله :{ ويعرفون ربهم - عزوجل - بصفاته التي نطق بها

وحيه وتنزيله ، أو شهد له بها رسوله -ﷺ- على ما وردت الأخبار الصحاح به ، ونقلته العدول الثقات عنه ويثبتون له - جلّ جلاله - منها ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله -ﷺ- ولايعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه }([٧٨]) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه ا - :{إن سلف الأمة وأئمتها كانوا على الإيمان الذي بعث ا به نبيه -ﷺ- يصفون ا بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل }([٧٩])

وقال - رحمه ا - :{ ويقولون ماجاءت به النصوص النبوية ، ودات عليه العقول الزكية الصريحة ، فلا ينفون عن ا - تعالى - صفات الكمال - سبحانه وتعالى - }([٨٠]) .

المبحث الثالث : الأدلة على ثبوت صفة الرضا لله تعالى

وصف ا تعالى نفسه بأكمل الأوصاف ، وأعظمها ، وأجلها في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، ومن صفاته التي وصف بها نفسه : صفة الرضا ، وقد ثبتت صفة الرضا بالقرآن ، والسنة ، والأثر ، والعقل ، وإليك بعض تلك الأدلة :

أولاً : من القرآن الكريم :

وصف ا نفسه بالرضا في آيات كثيرة من كتابه الكريم المنزل على رسوله محمد - ﷺ- منها : قوله تعالى : { اليوم أكملتُ لكم دِينَكم وأتْممتُ عليكم نِعمتِي ورضِيتُ لكم الإسلام دِينًا }([٨١]) .

وقوله - عزوجل - : { قالَ الله هذَا يوم ينفَع الصادِقِين صِدقُهم لهم جناتٌ تَجري مِن تَحتِها الأنهار خَالِدِين فِيهآ أبدا رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه ذَلِكَ الفَوز العظِيم }([٨٢]) .

وقال - سبحانه - : { والسابِقُون الأولُون مِن المهاجِرين والأنصار والذِين اتبعوهم بِإحسانٍ رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه وأعد لهم جناتٍ تَجري تَحتَها الأنْهار خَالِدِين فِيهآ أبدا ذَلِكَ الفَوز العظِيم }([٨٣]) .

وقال - تعالى - : { يومئِذٍ لا تَنفَع الشفَاعةُ إلا من أَذِن له الرحمن ورضِي له قَولاً }([٨٤]) .

وقال - عزوجل - : { لقَد رضِي الله عن المؤْمِنِين إذْ يبايِعونَكَ تَحتَ الشجرةِ فَعلِم ما فِي قُلوبِهم فَأنْزلَ السكِينَةَ عليهِم وأثَابهم فَتْحا قَرِيبا }([٨٥]) .

وقال - تعالى - : { لا تَجِد قَوما يؤْمِنُون بِاللهِ واليومِ الآخِرِ يوآدون من حآد الله ورسولَه ولو كَانُوا ءابآءهم أو أبنآءهم أو إخْوانَهم أو عشِيرتَهم أولئِكَ كَتَب فِي قُلوبِهم الإِيمانَ وأيدهم بِروحٍ مِنْه ويدخِلُهم جناتٍ تَجري مِن تَحتِها الأنْهار خَالِدِين فِيها رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه أولئِكَ حِزب اللهِ ألا إن حِزب اللهِ هم المفْلِحون }([٨٦]) .

وقال : { ومآ أعجلَكَ عن قَومِكَ يـاموسى ، قَالَ هم أولآءِ على أثَرِي وعجِلْتُ إِلَيكَ رب لِتَرضى }([٨٧]) .

وقال - سبحانه - : { فَتَبسم ضاحِكًا من قَولِها وقَالَ رب أوزِعنِي أن أشكُر نِعمتَكَ التِي أنْعمتَ علي وعلى والِدي وأن أعملَ صالِحا تَرضاه وأدخِلْنِي بِرحمتِكَ فِي عِبادِكَ الصالِحِين }([٨٨]) .

وقال - عزوجل - : { قَالَ رب أوزِعنِي أن أشكُر نِعمتَكَ التِي أنْعمتَ علي وعلى والِدي وأن

أعملَ صـالحا ترضاه وأصلِح لِي فِي ذُريتِي }([٨٩]) .

وقال - تعالى - : { يستخفُون مِن الناسِ ولا يستخْفُون مِن اللهِ وهو معهم إِذْ يبيتُـون مـا لا يرضى مِن القَولِ وكان الله بِما يعملُون محِيطًا }([٩٠]) .

وقال - سبحانه - : { إِن تكْفُروا فإِن الله غَنِي عنكُم ولا يرضى لِعِبـادِهِ الْكُفْـر وإِن تشكُـروا يرضه لكُم ولا تزِر وازِرةٌ وِزر أُخْرى ثُم إِلَى ربكُم مـرجِعكُم فينبئُـكُم بِما كُنتُم تعملُون إِنه علِيـم بِذَاتِ الصدورِ }([٩١]) .

وقال - تعالى - : { يحلِفُون لكُم لِترضوا عنهم فإِن ترضوا عنهم فإِن الله لا يرضى عنِ القَـومِ الْفاسِقِيـن }([٩٢]) .

وقال - عزوجل - : { وعد الله الَّذِين ءامنُوا مِنكُم وعمِلُوا الصالِحاتِ ليستخْلِفنهـم فِـي الأرضِ كما استخْلَف الَّذِين مِن قبلِهِم وليمكِّنن لهم دِينهم الَّذِي ارتضى لهم وليبدلنهم مـن بعدِ خـوفِهِم أَمنًـا يعبدونَنِي لايشْرِكُون بِي شيـئًـا ومن كفَر بعد ذَلِك فأُولائِك هم الْفاسِقُون }([٩٣]) .

وقال - تعالى - : { قُلْ أَؤُنبئُـكُم بِخيرٍ مـن ذَلِكُم لِلَّذِين اتقَوا عِند ربهِم جنـاتٌ تجرِي مِـن تحتِها الأَنْهار خـالِدِين فِيها وأَزو اجٌ مطَهرةٌ ورِضوان مـن اللهِ والله بصِير بِالْعِبادِ }([٩٤]) .

وقال - سبحانه - : { وعد الله الْمؤْمِنِيـن والْمؤْمِنـاتِ جناتٍ تجرِي مِن تحتِها الأَنْهار خالِدِين فِيها ومساكِن طَيبةً فِي جنّاتِ عدنٍ ورِضوان مـن اللهِ أَكْبر ذَلِك هو الْفَوز الْعظِيم }([٩٥]) .

وقال - سبحانه وتعالى - : { لِلْفُقَرآءِ الْمهاجِرِين الَّذِين أُخْرِجوا مِن دِيارِهِم وأَموالِهِم يبتغُـون فَضلاً مـن اللهِ ورِضوانًا وينصرون الله ورسوله أُولائِك هم الصادِقُون }([٩٦]) .

وقال - عزوجل - : { ومِن الناسِ من يشْرِي نفْسه ابتِغآء مرضاتِ اللهِ والله رءوفُ بِالْعِبادِ }([٩٧]) .

وقال - تعالى - : { لا خير فِي كَثِيرٍ مِن نجواهم إِلا من أَمر بِصدقَةٍ أَو معروفٍ أَو إِصلاحٍ بيـن الناسِ ومن يفْعلْ ذَلِك ابتِغآء مرضاتِ اللهِ فسوف نُؤْتِيهِ أَجرا عظِيما }([٩٨]) .

ثـانيـاً : من السنـة :

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال النبي -ﷺ- : { إن الله يقول لأهل الجنـة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومـا لنا لانرضى يارب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك . فيقول : ألا أعطيكـم أفضـل مـن ذلـك . فيقولون : يارب وأي شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً }([٩٩]) .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله -ﷺ- : { إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها}([١٠٠]) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : فقدت رسول الله -ﷺ- ليلة مـن الفـراش فالتمستـه فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : { اللهم أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك }([١٠١]) .

وعن أنس - رضي الله عنه - عن رسول الله -ﷺ- أنه قال : { عظم الجزاء مع عظم البـلاء ،

وإن ا إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط }([١٠٢]) .

وعن أبي هريرة - رضي ا عنه - عن النبي -ﷺ- قال : { إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان ا لايلقي لها بالاً يرفعه ا بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط ا لايلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم }([١٠٣]) .

وعن بلال بن الحارث المزني قال : قال رسول ا -ﷺ- : { إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان ا ، ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب ا - عزوجل - له بها رضوانه إلى يوم القيامة ، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط ا ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب ا - عزوجل - عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه }([١٠٤]) .

ثالثاً : من الأثر :

وفي الأثر أن أبا بكر - رضي ا عنه - كان يقول في دعائه : { أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها ، والشكر لك عليها حتى ترضى ، وبعد الرضى ... }(**[١٠٥]**) .

قال الإمام الشافعي - رحمه ا تعالى - في معنى قول ا تعالى : { كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون }([١٠٦]) : {لما حجب قوم بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضا }([١٠٧]) .

وذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل - رضي ا عنه - إلى أن ا - عزوجل - يغضب ويرضى ، وأن له غضب ورضى ، وقرأ أحمد قوله - عزوجل - : { ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى }([١٠٨]) { ... والغضب والرضا صفتان له من صفات نفسه ، لم يزل غاضباً على ما سبق في علمه أنه يكون ممن يعصيه ، ولم يزل راضياً على ما سبق في علمه أنه يكون مما يرضيه }([١٠٩]) .

رابعاً : دلالة المعقول على صفة الرضا ، وذلك من وجهين :

الأول : إن الرضا صفة كمال ، ونفيها نقص ، وا - سبحانه وتعالى - لاتضرب له الأمثال التي فيها مماثلة لخلقه كما قال - سبحانه - : { فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون }([١١٠]) ، فإن ا لا مثل له ، بل له المثل الأعلى ؛ كما أخبرنا بذلك في قوله - سبحانه - : { للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم }([١١١]) ، وقال - سبحانه - : { وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم }([١١٢]) .

فلايجوز أن يشترك هو والمخلوق في قياس تمثيل ، ولا في قياس شمول تستوي أفراده ، ولكن يستعمل في حقه المثل الأعلى ؛ وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال وهو يليق با فا أولى به ، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فا أولى بالتنزه عنه([١١٣]) ، فإذا كان اتصاف المخلوق بالرضا كمال ونفيه عنه نقص ، فا - سبحانه وتعالى - أولى أن يتصف بالكمال ولايعطل منه ؛ لأن تعطيل الكمال عنه وصف له بالنقص .

إذن فا موصوف بالرضا ، وهو كمال في حقه - سبحانه - ، بل صفة الرضا في حقه - سبحانه - أكمل من صفة الرضا في حق المخلوق ، بل رضا ا - سبحانه وتعالى - لايماثل رضا المخلوق ، فإذا كان المخلوق منزهاً عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم أو اللفظ فالخالق - سبحانه - أولى أن ينزه عن مماثلة المخلوق وإن حصلت موافقة في اللفظ

إذن فا - سبحانه وتعالى - متصف بصفة الرضا ، وهي صفة كمال لاتماثل صفات المخلوقين ، ونفيها عنه نقص ولايجوز أن يوصف بالنقص ، أو يعطل من الكمال .

الثاني : ا - سبحانه وتعالى - وصف نفسه بالرضا في آيات كثـيرة ، وكـذاك وصـفه بهـا الرسول -ﷺ- كما تقدم وهي صفة كمال لائقة به - سبحانه - ، فيكون نفيها تعطيلاً ورداً للنصـوص الشرعية وإلحاداً في آيات ا - سبحانه - كما قال - سبحانه - : { إِنّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءايَاتِنَـا لا يَخْفَوْنَ علَيْنَا }([١١٤]) وإلحاد في أسمائه : { ولِلهِ الأسماۤء الْحسنَى فَادعوه بِها وذَروا الَّذِين يلْحِدون فِي أَسمائِهِ سيجزون ما كَانُوا يعملُون }([١١٥]) وتعطيل ما أودع ا ورسوله في كلامهما من إثبات صفة الرضا بالمعنى اللائق به - سبحانه - تكذيب لهما ، وتعطيل لما يستحقه الرب - سبحانه - من الكمال([١١٦]) ، والجحود بها كفر ؛ لأنه رد لخبر ا وكفر بكلامه - سبحانه - ، ومن كفر بحـرف متفق عليه فهو كافر.

قال الشافعي : { تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيه ، لايسع أحداً من خلق ا - تعالى - قامت عليه الحجة ردها ؛ لأن القرآن نزل بها ، وصح عن رسول ا -ﷺ- القول بها ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر با - تعالى - ، فأما قبل ثبوت الحجة عليـه مـن جهة الخبر فمعذور بالجهل ؛ لأن علم ذلك لايدرك بالعقل ، ولا بالرؤية ولا بالفكر }([١١٧]) .

المبـحث الرابـع : القول الحق في صفة الرضا

يعتقد السلف - رحمهم ا تعالى - أن - تعالى - صفة الرضا ، وهي قائمة به غير بائنـة عنه([١١٨]) ، لا ابتداء لاتصافه بها ، ولا انتهاء ، فهو يرضى متى شاء ، كيـف شـاء - سـبحانه وتعالى - ، فلاتقوم بنفسها ؛ لأن الصفة لاتقوم إلا بالذات الموصوفة بها ، كما أن الذات لابد لها مـن صفة تميزها عن الذوات .

وكما أن جميع صفات ا غير مخلوقة فكذلك صفة الرضا غير مخلوقة ، وأما أثرها وهـو مـا يحصل للعبد من النعمة واندفاع النقمة ، فذاك مخلوق منفصل عن ذاته - سبحانه وتعالى - .

وقد يسمى الأثر باسم الصفة([١١٩]) .

وهي على ما يليق به - سبحانه وتعالى - ، فكما أن له - سبحانه - ذاتاً على الحقيقة فله صفة على الحقيقة وكما أن ذاته - سبحانه وتعالى - ليست كذوات خلقه ، فكذلك صـفته ليسـت كصفـات خلقه .

فرضاه - سبحانه وتعالى - ليس كرضا المخلوقين([١٢٠]) .

ولايصح أن يقاس رضا ا -تعالى- على رضا المخلوقين ، فإذا كان الراضي ليس كالراضـي ، فإن الرضا ليس كالرضا .

فلايصح أن يدخل رضى ا مع رضا المخلوق في قياس تمثيل ، ولا قياس تستوي جميع أفراده فا - سبحانه وتعالى: { لَيس كَمِثْلِهِ شَيء }([١٢١]) لا في ذاته ، ولا فـي صـفاته - سـبحانه - { وهو السمِيع البصِير } وله المثل الأعلى .

فا - سبحانه - حينما وصف نفسه بالرضا ووصف بعض المخلوقين بالرضا فليـس الرضـا كالرضا كما أنه ليس الراضي كالراضي ، فرضاه - سبحانه - على ما يليق به رضاً يختص به ورضا المخلوق على ما يليق به ، ولايلزم من تواطئ الصفتين أو اشتراكهما في الاسم العام المشـترك فـي

المعنى العام :التماثل والتشابه ، فرضا ا - سبحانه - وإن أشبه رضى المخلوق من وجه فإنه مخالف له من وجه آخر .

إن شابهه في اللفظ والمعنى العام ، فإنه لايماثله في الحقيقة ، فحقيقة رضا ا ليست كحقيقة رضا المخلوق ، فكما أن حقيقة ذات ا - سبحانه وتعالى - ليست كحقيقة الذوات فكذلك صفته .

وصفة الرضا صفة ذاتية قائمة به - سبحانه وتعالى([١٢٢]) - لاتنفك عنه .

ولا منتهى لرضاه - سبحانه - ، والرضا أحب إليه من الغضب([١٢٣]) .

كما أنها صفة فعل كما في قوله - تعالى - : { رضِيَ الله عنْهم ورضوا عنْه }([١٢٤]) تقوم بمشيئته وقدرته ، فهي صفة فعل اختيارية([١٢٥]) .

وصفات الذات وصفات الأفعال كلها كمال مطلق ، عالية وعلية وعظيمة ، وإن كان بعضهم يرى أن صفات الأفعال أدنى من صفات الذات([١٢٦]) .

والأدلة من الكتاب والسنة السابقة تدل على أنه يحصل أثر صفة الرضا في وقت دون وقت ، وأنه قد يحل رضوانه ثم يسخط ، كما يحل السخط ثم يرضى ، وقد يحل الرضا أبداً، كما في حال أهل الجنة في حديث البخاري ومسلم السابق ، وفيه : { أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً } .

وقول ا - تعالى - : { لقَد رضِيَ الله عن الْمؤْمِنِين إِذْ يبايِعونَك تَحتَ الشجرةِ}([١٢٧]) بين أنه - سبحانه - رضي ا عنهم ذلك الوقت ؛ لأن حرف إذ ظرف لما مضى من الزمان ، فعلم أنه ذاك الوقت رضي عنهم بسبب ذلك العمل وأثابهم عليه ، وكما يقال : المسبب لايكون قبل سببه ، والمؤقت بوقت قبل وقته .

وإذا كان راضياً عنهم من جهة ، فهذا الرضا الخاص الحاصل بالبيعة لم يكن إلا حينئذٍ ، كما في الحديث السابق . { ... أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً }([١٢٨]) .

قال ابن تيمية - رحمه ا - : { والرضا مستلزم الإرادة ، وإن لم يكن هو عين الإرادة ... ورضاه الذي يتضمن محبته ومشيئته }([١٢٩]) .

المبحث الخامس : صفة الرضا فعلية اختيارية

ومعتقد أهل السنة والجماعة أن ا - سبحانه وتعالى - موصوف بالصفات الاختيارية؛ كالرضا ، والكلام ، والغضب . والسخط ، والإتيان ، والنزول ، وغيرها من صفاته - سبحانه وتعالى - التي تقوم بمشيئته واختياره .

ومعنى تعلقها بمشيئته واختياره : أنه تعالى يرضى ويتكلم ، ويأتي وينزل ويغضب ويسخط إذا شاء متى شاء فإن شاء غضب ، وإن شاء رضى ، وإن شاء لم يرض ، وإن شاء تكلم ، وإن شاء سكت([١٣٠]) .

والآيات والأحاديث السابقة دالة على أن صفة الرضا مع أنها صفة ذاتية فهي كذلك صفة فعلية اختيارية لتعلقها بمشيئته وإرادته - سبحانه وتعالى - مثل :

١ - قوله - عزوجل - : { إِن تَكْفُروا فَإِن الله غَنِي عنكُم ولا يرضى لِعِبادِهِ الْكُفْر وإِن تَشكُروا يرضه لَكُم ولا تَزِر وازِرةٌ وِزر أُخْرى ثُم إِلَى ربكُم مرجِعكُم فَينَبئُكُم بِما كُنتُم تَعملُون إِنه علِيم بِذَاتِ الصدور }([١٣١]) .

٢ - وقوله - سبحانه - : { الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُم الإِسلام

دِينًا }([١٣٢]) مع قوله - سبحانه - عن موسى - عليه السلام - : { قَالَ هم أُولآءِ على أَثَري وعجِلْتُ إِلَيك رب لِتَرضى }([١٣٣]) .

٣ - وقوله - تعالى - : { رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه ذَلِك لِمن خَشِي ربه }([١٣٤]) مع قوله -عز من قائل - : { يحلِفُون لكُم لِتَرضوا عنْهم فَإِن تَرضوا عنْهم فَإِن الله لا يرضى عن الْقَومِ الْفَاسِقِين }([١٣٥]) .

وكان النبي -ﷺ- يقول في دعائه : { اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وبرضاك من سخطك ... } .

قال الجزري في النهاية : { بدأ بالمعافاة ثُم بالرضا ... لأنها من صفات الأفعال .... }([١٣٦]) .

المبحث السادس : صفة الرضا غير مخلوقة

لاشك أن الله موصوف بالرضا ، ورضاه - تعالى - صفة من صفاته غير مخلوقة([١٣٧]) ، ومن المهم أن أشير إلى قضية مهمة في هذا قل ذكرها ، هي : أن الكلام في أن الصفات مخلوقة أو غير مخلوقة : كلام حادث لم يكن في صدر الإسلام ؛ لأنه من المسلم عند الصحابة والتابعين ومن اتبعهم : أن صفات الله غير مخلوقة ، فلذلك ما كانوا ليخوضوا في ذلك .

فصفة الرضا غير مخلوقة ، وما قيل عنها إنها مخلوقة إلا بعد ظهور الجهمية وأمثالها ممن قال بذلك ، فاضطر السلف - رحمهم الله - إلى المناقشة والرد على هؤلاء المبتدعة ؛ لأن حقيقة قول من قال : إنها مخلوقة هو إنكار صفة الله - تعالى - وتعطيلها . لكنهم لما علموا أن قولهم رد للنصوص الشرعية ، وتكذيب لها ، قالوا : هي مخلوقة .

فلا يعقل أبداً أن يقال : إن صفة الرضا الثابتة بقول الله - تعالى - : { رضِي الله عنْهم }([١٣٨]) مخلوقة ، فاللغة لا تساعد من قال ذلك ، بل وكل الأدلة الدالة على معاني الألفاظ العقلية والنقلية تمنع ذلك .

وإضافة صفة الرضا إلى نفسه - سبحانه وتعالى - في آيات كثيرة تدل على اتصافه بها، وأنها غير مخلوقة ، مثل :

١ - قوله - سبحانه - : { لَقَد رضِي الله عن الْمؤمِنِين إِذ يبايِعونَك تَحتَ الشجرةِ فَعلِم ما فِي قُلُوبِهِم فَأَنْزلَ السكِينَةَ علَيهِم وأَثَابهم فَتْحا قَرِيبا }([١٣٩]) ، فل يصح أن يقال : لقد خلق رضاه عن المؤمنين ، فلا دليل على ذلك ، ولا يعقل .

٢ - قوله - سبحانه - : { قَالَ الله هذَا يوم ينفَع الصادِقِين صِدقُهم لَهم جناتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهار خَالِدِين فِيهآ أَبدا رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه ذَلِك الْفَوز الْعظِيم }([١٤٠]) .

٣ - وقوله - عزوجل - : { الْيوم أَكْملْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْممتُ علَيكُم نِعمتِي ورضِيتُ لَكُم الإِسلام دِينًا }([١٤١]) .

وغير ذلك من الآيات السابقة وغيرها الدالة على أن صفة الرضا غير مخلوقة ؛ بل هي تابعة للذات الموصوفة فذاته - سبحانه - متفق على أنها غير مخلوقة ؛ فكذلك صفته ، فلايتصف بصفة مخلوقة .

ومما يدل على أنها غير مخلوقة : استعاذة النبي -ﷺ- بها فقد كان من دعائه واستعاذته -ﷺ- : { اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك } .

فأثبت النبي -ﷺ- شرعية الاستعاذة بصفة الرضا ، فلو كانت مخلوقة لكانت الاستعاذة بها شركاً ؛ لأنها استعاذة بمخلوق ، ومعلوم أن الاستعاذة بغير ا - تعالى - وأسمائه وصفاته شرك ، فكيف يصح أن يعلم النبي - ﷺ- أمته ما هو شرك ظاهر ، وهو الذي جاء هم بالتوحيد الخالص ، ونهاهم عن الشرك ؟ بل وكانت رسالته ورسالة الأنبياء قبله : الدعوة إلى التوحيد ، والنهي عن الشرك .

فدل هذا على أن صفة الرضا غير مخلوقة ، بل وكل صفاته ، فالاستعاذة بالرضا استعاذة بصفته -سبحانه وتعالى- إذ رضاه - تعالى - صفته التي يرضى بها عمن يشاء من عباده ، وأما المخلوق فهو أثر تلك الصفة من النعم ودفع النقم فذاك منفصل عن ذاته - سبحانه وتعالى - وإن سمي باسم الصفة([١٤٢]) .

فيجب التفريق بين الرضا صفة ا - تعالى - ، وما سواه مما يحصل من أثره .

والعقل الصريح المعافى من الشبهات والشهوات يدرك أن الرضا لو كان مخلوقاً فلايخلو من أحد حالين :

الحال الأولى : أن يكون مخلوقاً قائماً بذات ا .

الحال الثانية : أن يكون مخلوقاً منفصلاً عن ا بائناً عنه .

وكلا الحالين باطل ، بل كفر شنيع .

أما الأول : فيلزم منه أن يقوم المخلوق بالخالق ، وهذا باطل في قول أهل السنة والجماعة ، وعامة أهل البدع ، فإن ا بائن من خلقه - سبحانه - مستغن عنهم من جميع الوجوه .

أما في الحال الثانية فيلزم منه تعطيل ا - تعالى - من صفة الرضا ؛ لأن الصفة لاتقوم إلا بالموصوف- كما سبق - فإن قامت بغيره كان وصفاً لغيره ، ولابد أن يوصف بها ذات أخرى ، وهذا معناه أن الرب - سبحانه وتعالى- لم يتصف بصفة الكمال صفة الرضا، وهذا تنقص وهو كفر بين .

وإذا علمت بأن الصفة لاتقوم بنفسها بل تقوم بغيرها ففي هذه الحال : إما أن تكون صفة للخالق - سبحانه - قائمة به وإما أن تكون صفة للمخلوق قائمة به ولابد ، فالحياة والمحبة والإرادة والعلم والرضا والقدرة وغيرها من الصفات إذا أضيفت لشيء كانت وصفاً له تابعة لمن قامت به .

فإذا أضيفت إلى الخالق - سبحانه - فهي صفات له قائمة به غير مخلوقة ؛ لأنه الخالق - سبحانه - لكل شيء وإذا أضيفت إلى المخلوق فهي صفات له قائمة به مخلوقة ؛ لأنه مخلوق .

فلما أضاف لنفسه رضا ، ووصف نفسه به ؛ كان رضاه غير مخلوق ؛ لأنه تابع له ، فذاته غير مخلوقة ، وكذلك صفته ، إذ يتنزه عند أهل السنة والجماعة عن الاتصاف بمخلوق، كما أن أهل البدع ينزهونه عن قيام الحوادث به فيلزمهم ذلك : القول بأن ا متصف بالرضا والرضا غير مخلوق .

المبحث السابع : مناقشة المخالفين للحق في صفة الرضا

تمهيد :

تستوقف المؤمن المتدبر لكتاب ا آيات إثبات صفة الرضا - سبحانه وتعالى - ، بل وتدفعه إلى زيادة الإيمان با رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد -ﷺ- رسولاً ونبياً ، فيرغبه ذلك في امتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، والاستقامة على شرع ا ، والاهتداء بهدي رسول ا - ﷺ- .

ولكن في نفس الوقت يعجب كل العجب ممن يتأول هذه الصفة أو يعطلها ، زاعماً أن ذلك هو

الحق ، وقد اشتبه عليه الحق بالباطل ، فانقلبت لديه المفاهيم ، فسوى بين المختلفات ، وفـرق بين المتماثلات .

ولقد تبين لي بعد البحث والتأمل : أن ذلك يسبب قسوة في القلب ، وبعداً عن الحق .

بل إن المتأمل في كلام المعطلة والمؤولة للصفات أو بعضها ومنها الرضا ، ليجد أن العقل إذا لم يخضع للنصوص من الكتاب والسنة فيثبت ما أثبتت وينفي ما نفت ، فإنه يزيغ عن الحق ، ويبعد عن الهدى ، ويفقد الاطمئنان ، ولايذوق طعم الإيمان ، كما يذوقه المؤمنون الصادقون الذين آمنوا با ربا ، آمنوا بربوبية ا ، آمنوا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا آمنوا بأن له - سبحانه - ذاتـاً لاتماثـل الذوات ، وأن له أسماء وصفات لاتماثل سائر الصفات .

ولقد أدرك كثير من المعطلة للصفات والمؤولة لها أنهم أخطأوا الطريق الصحيح ولكن متى فـي أواخر الأعمار فقال بعضهم لما وصل إلى الحيرة في هل الصفات زائدة على الذات أم لا ؟ وهل الفعـل مقارن للذات أو متأخر عنها ؟ قال : من الذي وصل إلى هذا الباب ؟ أو ذاق من هذا الشـراب ؟ ثُـم أنشد :

نهاية إقدام العقـــــــــــول عقال وغاية سعى العالمين ضـــــــــلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيـــــــــــانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا([١٤٣])

ثُم قال : لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليـلاً ، ولاتـروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات {الرحمـن علـى العـرش اسـتَوى }([١٤٤]).{إِلَيهِ يصعد الكَلِم الطيب}([١٤٥]) وأقرأ في النفـي :{لَيـس كَمِثْلِـهِ شَـيء}([١٤٦])،{ولا يحِيطُون بِهِ عِلْما}([١٤٧]). ثُم قال :{ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي}([١٤٨]) .

وذكر الآخر أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم ، حيث قال :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعـــاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم([١٤٩])

وقال الثالث :{لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني([١٥٠]) وها أنا ذا أموت علـى عقيـدة أمي ، أو قال على عقيدة عجائز نيسابور}([١٥١]) وغير هؤلاء كثير ممن أدرك ما وقع فيـه مـن الخطأ والانحراف عن طريق الكتاب والسنة في هذا الباب .

موقف المعطلة من صفة الرضا ومناقشتهم :

وقد خالف الحق وجانب الصواب ، وعارض الأدلة من الكـــتاب والسنة في صفة الرضـا: المعطلة من الجـــهمية والمعتزلة([١٥٢]) ، ومن وافقـهم ، فقالوا : إن الرضا لايقوم بـا - سبحانه - ، بل هو مخلوق ، فرضاه عن المؤمنين ثوابه والثواب مخلوق([١٥٣])

والجواب عن ذلك - مع ما سبق - من وجوه :

أحدها : أن هذا مفارقة للحق وأهله ، من السلف ، والأئمة ، وأهل الفقه ، والحـديث، وجميـع المثبتة للصفات([١٥٤]) .

ثانيها : أن الذي عليه جماهير المسلمين من السلف والخلف : أن الخلق غير المخلوق ، فالخلق

فعل الخالق والمخلوق مفعوله ، ولهذا كان رسول الله -ﷺ- يستعيذ بأفعال الرب و صفاته كما سبق في قوله -ﷺ- : { أعوذ برضاك من سخطك } فاستعاذ برضاه والاستعاذة لاتكون إلا بالله أو بصفته([١٥٥]) .

ثالثها : أن الاستعاذة كما في الحديث السابق لم تكن بمخلوق ؛ لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك ، والرسول -ﷺ- إنما جاء يدعو إلى توحيد الله - سبحانه - ، وعدم الإشراك معه، أو به غيره ، بل هي رسالة الرسل جميعاً - كما سيأتي - فدل ذلك أن لله صفات ، ومنها الرضا ، وأنها غير مخلوقة ، بل هي صفة ذاتية فعلية اختيارية ، تقوم بمشيئته وقدرته .

رابعاً : ما ذكره الخلال([١٥٦]) في عقيدة الإمام أحمد بن حنبل ، وهو : أن أصحاب الإمام أنكروا على من يقول : { إن الرضى مخلوق } ، وقالوا من قال ذلك لزمه أن رضا الله على الأنبياء والمؤمنين يفنى حتى لايكون راضياً([١٥٧]) .

قلتُ : فالذي يفنى ويموت هو المخلوق ، ولايبقى غير الخالق - سبحانه - بذاته وصفاته ، وقد وصف نفسه بالرضا وذاته غير مخلوقة - فهو الخالق - فكذلك صفته ؛ لأن الصفة تابعة للموصوف ، والقول في الصفة كالقول في الذات .

مناقشة الكلابية ومن وافقهم :

أما الكلابية([١٥٨]) وموافقهم من السالمية([١٥٩]) وغيرهم ، فيقولون : تقوم بذاته بغير مشيئته وقدرته .

أما ما يكون بمشيئته وقدرته ، فلايكون إلا مخلوقاً منفصلاً عنه([١٦٠]) .

فيقولون : الرضا قائم بذاته ، وليس فعلا له .

وشبهتهم : أنه متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة ، ولاتكون بمشيئته .

وأن ما يكون بمشيئته فإنه حادث ، والرب - تعالى - لاتقوم به الحوادث .

ويسمون الصفات الاختيارية بمسألة حلول الحوادث ، فإنه إذا رضي عن عبده بمشيئته وقدرته ، كان ذلك الرضا حادثاً

فلو اتصف الرب به لقامت به الحوادث فهو حادث ، قالوا : ولأن كونه قابلاً لتلك الصفة : إن كان من لوازم ذاته كان قابلاً لها في الأزل ، فيلزم جواز وجودها في الأزل ، والحوادث لاتكون في الأزل ؛ لأن ذلك يقتضي وجود حوادث لا أول لها وذاك محال([١٦١]) .

١ - قلتُ : يقال لهم : والرضا صفة كمال لا صفة نقص ، ومن رضي بمشيئته أكمل ممن لايرضى بمشيئته ، فكيف يتصف المخلوق بصفات الكمال دون الخالق ؟ .

٢ - فضلاء المشاركين لهم في هذا القول كالفخر الرازي([١٦٢]) ، وسيف الدين الآمدي([١٦٣]) وغيرهما معترفون بأنه ليس لهم حجة عقلية على نفي الصفات الاختيارية([١٦٤]) .

والأمر كذلك ، فليس لهم دليل نقلي أو عقلي على ما قالوه ، بل النص والعقل يدلان على خلاف ما قالوا ، كما في الأدلة التي ذكرناها سابقاً .

٣ - أن قولهم هذا يدل على جهلهم بالفرق بين صفة الله التي هي الرضا وبين أثرها الذي قد يسمى باسم الصفة .

فالصفة تابعة للذات غير مخلوقة ، أما أثرها فهو مخلوق ، وفرق بينهما ، فالأثر غير الصفة ، والصفة غير الأثر وإن سمي باسمها ، فيقال للمرضي به رضا ، وللمأمور به أمراً ، وللمرحوم رحمة ... لكن يقال له : هذا كله ليس هو حقيقة الصفة عند الإطلاق([١٦٥]) .

وبهذا يتبين خطأ قول من قال : { الرضا إما ثوابه فيكون صفة فعل ، وإما ثناؤه فهـو صـفة ذات }([١٦٦]) .

٤ - أن الفعل نوعان : متعد ولازم ، وفعل الرضا متعدٍ ، وكلا الفعلين حاصل بمشيئته وقدرتـه وا متصف به([١٦٧])وفي الحديث : {فيسألونه الرضا ، فيقول : رضـاي أحلكـم داري وأنـا لكـم كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرضا ، فيشهدهم الرضا}([١٦٨])

شبهة التجسيم والجواب عنها :

ما من ناف لشيء من الأسماء والصفات إلا ويزعم أنه قد قام عنده دليل العقل على أنه يدل على التجسيم ، فيكون متشابهاً ، فيلزم حينئذٍ أن تكون جميع الأسماء ، والصفات متشابهات ، وحينئذٍ فيلزم التعطيل المحض ، وأن يفهم من الأسماء والصفات معنى ، ولايميز بين معنى القدير والسميع والبصير والمؤمن والمتكبر والباري ، ولا بين معنى الإرادة والرضا والعفو والغفران والخلق والاستواء ونحوها ([١٦٩]) .

فإن قال أهل الشبهة : لايعقل رضا إلا ما يقوم بقلب هو جسم .

قيل لهم : ونحن لانعقل علماً إلا ما هو قائم بجسم ، ولا إرادة إلا ما هو قائم بجسم ، ولا سمعاً ، ولا بصراً ، إلا ما هو قائم بجسم ، فلم فرقتم بين المتماثلين ، وقلتم إن هذه يمكن قيامها بغير جسـم ، والرضا لايمكن قيامه إلا بجسم وهما في المعقول سواء ؟ .

فإن كان ما تثبتونه مماثلاً لصفات العبد ؛ لزمكم التمثيل في الجميع ، وإن كنتـم تثبتونـه علـى الوجه اللائق بجلال ا - تعالى - من غير مماثلة بصفات المخلوقين فاثبتوا الجميع على هذا الوجه ، ولا فرق بين صفة وصفة في الإثبات([١٧٠]) .

من الردود على من نفى صفة الرضا :

وقيل لهم أيضاً : من نفى صفة الرضا أو غيرها من الصفات فراراً بزعمه من التشبيه والتركيب والتجسيم ؛ فإنه يلزمه فيما أثبته نظير ما ألزمه لغيره فيما نفاه هو ، فإن كـان مـن يثبـت بعـض الصفات كالحياة والعلم والإرادة وغيرها كالأشعرية ومن وافقهم على مذهبهم .

يمكن منازعته بما أثبته ، وذلك بأنه يلزمه أن يثبت صفة الرضا كما أثبت العلم والحياة والإرادة وغيرها ، فلا فرق بينهما([١٧١]) .

فالقول في بعض كالقول في البعض الآخر .

فإذا كان يقول : إن ا متصف بصفة العلم ، أو الإرادة ، أو القدرة ، أو غيرها ، ولايلـزم مـن ذلك تشبيه ، ولا تجسيم ولا تركيب فيلزمه أن يثبت الرضا وغيرها مما نفى ، ولايلزم من إثباتها تشبيه ، ولا تجسيم ، ولا تركيب .

وإن كان ممن ينفي الصفات ، ويثبت الأسماء ، فكذلك نقول له : يلزمك أن تثبت صفة الرضـا ، وغيرها ، كما أثبت الأسماء .

فإن قال : أثبت الأسماء ، ولا يلزم من إثباتها تشبيه ، ولا تجسيم .

قلنا لك : فأثبت الصفات أيضاً ، فإثباتها لا يلزم منه تشبيه ولا تجسيم ، فالقول في بعض كالقول في البعض الآخر([١٧٢]) - وإذا قال : الرضا وغيرها من الصفات من صفات الأجسام ، ولا نـرى ما هو متصف بها إلا ما هو جسم ، قلنا له: وكذلك الإرادة التي تثبتها ، والعلم ، والسمع ، والبصر ، وغيرها ، لانرى في الشاهد ما هو موصوف بها إلا جسماً .

فإن نفيت ما نفيت لكونك لا تعلمه إلا صفة لما هو جسم ؛ فانف الباقي ؛ لأنك لاتجده في الشاهد

إلا لما هو جسم ، بل والأسماء ، بل وكل شيء ، لأنك لا تجد متصفاً به ، أو مسمى به ، أو مـا هو موجود إلا جسماً .

فالقول في بعض كالقول في البعض الآخر .

وإن قال : أنا أثبت العلم والإرادة والحياة ونحوها على ما يليق با ، فله إرادة لا تشبه إرادة المخلوق ، وله علم لا يشبه علم المخلوق ، وله سمع لا يشبه سمع المخلوقين - وهكذا - .

قلنا له : وكذلك له رضا ومحبة ورحمة لاتشبه رضا المخلوق أو محبته أو رحمته ، فإن أثبت ما أثبت لكونها لا تماثل صفات المخلوقين ؛ فقل مثل ذلك في الرضا ، ونحوها من الصفات التي نفيتهـا([١٧٣]) ، فيلزمكم فيما نفيتم من الرضا ونحوها نظير ما أثبتموه من الإرادة والعلم وغيرهما .

فإما أن تعطلوا الجميع ، وهذا ممتنع ، وإما أن تمثلوه بالمخلوقات ، وهو ممتنع ، وإما أن تثبتوا الجميع على وجه يختص به لا يماثله فيه غيره .

وحينئذٍ لا فرق بين صفة وصفة من حيث الإثبات ، فإثبات إحداهما ونفي الأخـرى فـراراً مـن التشبيه والتجسيم قول باطل يلزم منه التفريق بين المتماثلات ، والتناقض في المقالتين([١٧٤]) .

ويقال لهم كذلك : ما مرادكم بالجسم ؟ أتريدون بالجسم البدن المكون من المـادة والصـورة ؟ ، فهذا لايطلق على ا - تعالى - أو تريدون ما يسمى بأسماء ، ويوصف بصفات ، فا - عزوجل - وصف نفسه بالرضا وغيرها من الصفات ووصفه بها أعلم الخلق به محمد - ﷺ- .

فإن قال : إن العقل يدل على إثبات العلم ، والإرادة ، والحياة ، والسمع ، والبصر ، والقـدرة ، والكلام دون الرضا وغيرها من الصفات .

قلنا : الجواب عن ذلك من وجوه :

الأول : أن دلالة العقل على ما تقول لايستلزم عدم الدليل على إثبـات الر ضا ، وغيرهـا مـن الصفات .

فلو أن العقل لم يثبت ما نفيته فإنه لاينفيه ، وليس لك أن تنفيه بغير دليل ؛ لأن النـافي عليـه الدليل على ما نفاه ، كما أن على المثبت الدليل على ما أثبته ، فيجب إثبات ما نفيته لثبوتـه بالدليـل السمعي ، مثل قوله - تعالى - : { رضِيَ الله عنْهم }([١٧٥]) .

الثاني : أنه يمكن إقامة الدليل العقلي الذي أثبت به ما أثبت على إثبات صفة الرضا وغيرها مما نفيت ، فإذا دلّ الدليل العقلي على إثبات الإرادة والسمع والبصر وغيرها مما أثبت وهـو سـالم عـن المعارض فإنه يثبت أيضاً صفة الرضا وغيرها مما نفيت من غير دليل سمعي ولا عقلي .

الثالث : السمع دل على صفة الرضا ، مثل قوله - تعالى - : { لقَد رضِيَ الله عن الْمؤْمِنِيـن إِذْ يبايِعونَك تَحتَ الشجرةِ }([١٧٦]) ، وقوله : { رضِيَ الله عنْهم ورضوا عنْه ذَلِك لِمن خَشِي ربه }([١٧٧]) ، وغيرهما .

وقوله -ﷺ- السابق : { إن ا ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمـده عليهـا ، أو يشـرب الشربة فيحمده عليها } والعقل لاينفي هذه الأدلة وغيرها ، مما يدل على صفة الرضا ، فيجب العمـل بالدليل السالم عن المعارض([١٧٨]) .

الرابع : إن الرجوع إلى العقل في الإثبات والنفي مخالف لما كان عليه سلف الأمة ، وأئمتهـا ، من الصحابة ، والتابعين ومن تبعهم ، فما منهم أحد رجع إلى العقل في ذلك ؛ وإنما يرجعون إلى كتاب ا وسنة نبيه محمد -ﷺ- ، فما أثبته ا لنفسه أو أثبته له أعلم الخلق به -ﷺ- أثبتوه ، وما نفـاه عن نفسه في كتابه ، أو نفاه عنه الرسول -ﷺ- نفوه ، مع إثباتهم ما أثبته ، إثباتاً بلا تمثيل ، ونفيـاً

بلا تعطيل .

وقال الإمام أحمد - رحمه ا - : { وصفاته منه وله ولانتعدى القرآن والحديث }([١٧٩]) .

وقال الإمام الشافعي - رحمه ا - : { حرام على العقول أن تمثـل ا - تعـالى - ، وعلـى الأوهام أن تحده ، وعلى الظنون أن تقطع ، وعلى النفوس أن تفكر ، وعلى الضمائر أن تعمق ، وعلى الخواطر أن تحيط ، وعلى العقول أن تعقل إلا ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه -ﷺ- }([١٨٠]) .

وبعضهم يرى أن الرضى والسخط والكراهة المراد بها أمره ونهيه ، أو ثوابه وعقابه .

أي أن الرضا هو الأمر ، أو هو الثواب ، والسخط هو العقاب .

وهذا مذهب الأشاعرة([١٨١]) .

وهذا تأويل ، وتكاف ، لم يدل عليه دليل لا سمعي ولا عقلي ، إنما هـو تحريـف للكلـم عـن مواضعه .

والواجب على المسلم الإيمان بصفات ا التي وصف بها نفسه ، من غير تأويل ، ولا تمثيـل ، ولا تعطيل .

وقد روي عن الإمام الشافعي أنه قال : { آمنت بما جاء عن ا على مراد ا ، وبما جاء عـن رسول ا على مراد رسول ا ﷺ } ([182]) .

وقال سفيان بن عيينة :{ كل ما وصف ا -تعالى- به نفسه في القرآن فقراءته تفسـيره ، ولا كيف ، ولا مثل}([١٨٣])

المبحث الثامن : أثر الإيمان بصفة الرضا في حياة المسلم

لقد قام هذا الدين على أصول ثلاثة ، هي :

١ - معرفة العبد ربه .

٢ - معرفة العبد دينه .

٣ - معرفة العبد نبيه -ﷺ- .

ومعرفة العبد ربه تتمثل في معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله ، فلايكون الإنسان على حقيقة مـن دينه إلا بعد العلم با - سبحانه وتعالى - : { فَاعلَمْ أَنه لا إِلَه إِلا الله واسـتَغْفِر لِـذَنبِك }([١٨٤]) ، وأعلم الخاق با { بأسمائه وصفاته } أخشاهم وأتقاهم ، ولذلك لايستطيع العبـاد إدراك حقيقـة العبودية ، وتحقيقها قولاً وعملاً إذا لم يعرفوا صفات ا - عزوجل - .

ومن نفى أسماءه وصفاته كان أجهل الناس به ، وبمقدار ما ينفي العبد من صفات ا يغلب عليه الجهل ، ويقسو قلبه وتنحرف عبادته .

فهذا الركن العظيم من ركني التوحيد - توحيد العلم والاعتقاد وتوحيد الإرادة والقصد - تحقيقـه تزكية للنفس وإقامة لها على طاعته ، وسبب للعصمة من الزلل والانحراف، ويفتح الأمل ، ويقي مـن الخمول والكسل .

ولهذا كان رسول ا -ﷺ- يقرأ بما تتضمن العلم بالصفات والعمل { قُلْ هو الله أَحد }([١٨٥]) و{ قُلْ يأَيـها الْكَـافـرون }([١٨٦]) في ركعتي الفجر والمغرب والطـواف وغـير ذاـك([١٨٧]) ، فعـلم العبد بتفرد الرب بالخلق ، والإحيـاء والإماتة والرزق ، والرضا ، وغيرها من الصفـات ، يورث العمل بمقتضياتها .

ولهذا عظمت نصوص الأسماء والصفات ؛ لأنها تتحدث عن الواحـد الأحـد صـاحب الصفـات العظيمة مثل آية الكرسي وقل هو ا أحد وغيرها .

بل إن العلم بالصفات والعمل بمقتضاها أصل للعلم بكل معلوم والأمر به ، ولـذلك يزيـد إيمـان المؤمن بإثبات صفات ا - تعالى - على ما أراده ا ، وعلى ما أراده رسوله -ﷺ- فيمـا وصـفه به .

ولهذا قال الإمام الشافعي - رحمه ا - : { آمنت بما جاء عن ا على مراد ا ، وبما جـاء عن رسول ا على مراد رسول ا -ﷺ- }([188]) .

وما أعظم ثواب من عمل بمقتضى صفات ا - تعالى - كما في الآيات التي ذكرتها في الأدلـة على ثبوت هذه الصفة ولايتحقق تعظيم ا وتمجيده ودعاؤه إلا بأسمائه وصفاته، وإثبات صفة الرضا والعمل بمقتضاها من تعظيم ا وتمجيده ودعائه ، كما في الحديث السابق : { اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك ، وبك منك ، لا أحصي ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك } .

وهذا هو الصراط المستقيم الذي التزمه مثبتة الصفات : أهل السنة والجماعة .

وإليك أخي المؤمن نبذة يسيرة عن أثر هذه الصفة في حياة المسلم الموحد المثبت لصفة الرضا :

الاستعاذة بصفة ا من كمال التوحيد ، فكان من دعاء النبي -ﷺ- : { اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ... } .

قال ابن القيم - رحمه ا - : { فاستعاذ بصفة الرضا من صفة الغضب ، وبفعل العافية من فعل العقوبة ، واستعاذ به منه باعتبارين ، وكأن في استعاذته منه جمعاً لما فصله في الجملتين قبله ، فإن الاستعاذة به منه ترجع إلى معنى الكلام قبلها مع تضمنها فائدة شريفة وهي كمال التوحيد ، وأن الذي يستعيذ به العائذ ويهرب منه إنما هو فعل ا ومشيئته وقدره فهو وحده المتفرد بـالحكم ، فـإذا أراد بعبده سوءاً لم يعذه }([١٨٩]) .

والمتأمل للحديث السابق يجد أن الرسول -ﷺ- استعاذ بصفة الرضا من صفة السخـط، وبفعـل المعافاة من فعل العقوبة فالأول للصفة ، والثاني لأثرها المترتب عليها ، ثُم ربط ذلك كلـه بذاتـه - سبحانه - { وبك منك } ؛ لأن ذلك كله راجع إليه وحده دون سواه([١٩٠]) .

وأثر صفة الرضا دائم في الآخرة بدوام رضاه سبحانه وتعالى([١٩١]) .

ويستحيل تخلف آثارها ومقتضاها عنها ؛ لأن ذلك تعطيل لأحكامها كما أن نفيها نفي لحقائقهـا ، وكلا التعطيلين محال عليه - سبحانه وتعالى - ، فمن عطل صفاته - سبحانه - ، فقد عطل ا ممـا يستحق ، ومن لم يعمل بمقتضاها فقد عطل أحكامها وموجباتها ، ومن جمع بين التعطيلين فقـد حـاز الكفر كله .

إن الحصول على رضا ا سبحانه وتعالى - أثر الصفة - درجة رفيعة من درجـات المؤمنيـن الصادقين ، كما في قوله- سبحانه - : { رضِيَ الله عنْهم ورضوا عنْه } في سورة المائـدة ، وفـي سورة التوبة ، وفي سورة البينة وغيرها .

فهم يحصلون على درجة الرضا عنهم عند دخولهم الجنات وخلودهم فيهـا فيغمـرهم رضـاه - سبحانه - ويبلغوا درجة الرضا بما لقوا من نعيم ربهم الكريم .

ورضا ا - سبحانه وتعالى - من أعظم ما يمتع به المؤمن الصادق ، فهو بما يصحبه من نعيم مقيم إلا إنه في ذاته هو النعيم فهو أعلى وأكرم مثوبة من ا { والسابِقُون الأولُون مِن المهاجِريـن والأنصار والَّذِين اتبعوهم بِإِحسانٍ رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه وأَعد لهم جناتٍ تَجري تَحتَها الأَنْهـار

خَـالِدِين فِيهآ أَبدا ذَلِك الْفوز الْعظِيم }([١٩٢]) .

ما أعلى رضا ا - سبحانه - وأكمله ، وما أندى وما أنعم وما ألذ أثر هذه الصفة العظيمـة ، أثر صفة الرضا عظيم وهو خاص بحزب ا المفلحين بخير البرية ، هم أهله ، وهم الراضـون بـه ، { إِن الذِين ءامنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ أُولائِك هم خير الْبرِيةِ ، جزآؤُهم عِند ربهِم جناتُ عدنٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهار خَالِدِين فِيهآ أَبدا رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه ذَلِك لِمن خَشِي ربه }([١٩٣]) .

قال ابن كثير - رحمه ا - في تفسير الآية : { ومقام رضاه أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم }([١٩٤]) .

أما الفاسقون العاصون لأمر ا وأمر رسوله -ﷺ- فهم المحرومون من رضى ا - سبحانه وتعالى - وأولهم المنافقون الذين يقولون بألسنتهم وظاهرهم : آمنا أو أسلمنا وما هم بمؤمنين يخادعون ا والذين آمنوا ، فهؤلاء ، قال ا فيهم : { يحلِفُون لَكُم لِترضوا عنْهم فَإِن ترضوا عنْهم فَإِن الله لا يرضى عن الْقَومِ الْفَاسِقِين }([١٩٥]) ، { ذَلِك بِأَنهم اتبعوا مآ أَسخَط اللـه وكَرِهوا رضوانَه }([١٩٦]) .

إن رضى ا عن العبد أكبر نعمة ينعمها ا على عبده : { محمد رسولُ اللهِ والَذِين معه أَشِدآء علَى الْكُفار رحمآء بينَهم تَراهم ركعا سجدا يبتَغُون فَضلاً مِـن اللهِ ورضوانًا سِيماهم فِـي وجوهِهِـم مِـن أَثَرِ السجودِ ... }([١٩٧]) .

قال ابن كثير - رحمه ا - : { وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة ، وهـي خـير الأعمـال ، ووصفهم بالإخلاص فيها   عزّ وجل - ، والاحتساب عند ا - تعالى - جزيل الثواب وهو الجنـة ، المشتملة على فضل ا - عزّ وجل - وهو سعة الرزق عليهم ، ورضاه - تعالى - عنهم ، وهو أكبر من الأول }([١٩٨]) .

{ وعد الله الْمؤْمِنِين والْمؤْمِنَاتِ جناتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهار خَالِدِين فِيها ومساكِن طَيبةً فِي جناتِ عدنٍ ورضوان مِـن اللهِ أَكْبر ذَلِك هو الْفَوز الْعظِيم }([١٩٩]) .

فرضا ا عن المؤمنين أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم .

أكبر من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار المعدة للخلود فيها أبداً .

وأكبر من المساكن الطيبة القرار ، الحسنة البناء ، الموصوفة من رسول ا -ﷺ- بقوله : { جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن }([٢٠٠]) .

وقال رسول ا -ﷺ- : { إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً من السماء للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضاً }([٢٠١]) .

فرضا ا على المؤمن أكبر من الجنة التي هي : { مائة درجة أعدها ا للمجاهدين في سبيله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض }([٢٠٢]) .

وصدق ا العظيم : { ورضوان مِـن اللهِ أَكْبر } .

أخرج الإمام مالك ، عن أبي سعيد الخدري - رضي ا عنه - أن رسول ا -ﷺ- قال : { إن ا - عزوجل - يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة ، فيقولون : لبيك ربنا وسعديك ، والخير في يديك ، فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لانرضى يا رب ، وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً مـن خلقـك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك . فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً } .

وعن جابر بن عبد ا قال : قال رسول ا ﷺ: { إذا دخل أهل الجنة الجنة قال ا - عزوجل - : { هل تشتهون شيئاً فأزيدكم ؟ قالوا : يا ربنا ما خير مما أعطيتنا ؟ قال : رضواني أكبر }([٢٠٣]) .

وعن عروة قال : { أفضل ما أعطي العباد في الدنيا العقل ، وأفضل مـا أعطـوه فـي الآخـرة رضوان ا - عزوجل-}([٢٠٤])

بل إن أكبر نعيم يتحقق للمؤمن يوم القيامة - وهو رؤيته سبحانه وتعالى - إنما تكون مع تحقق الرضا ، كما في قوله سبحانه : { لِلذِين أَحسنُوا الْحسنَى وزيادةٌ ولا يرهقُ وجوههم قَتَر ولا ذِلَـةٌ أُولائِك أَصحاب الْجنةِ هم فِيها خَالِدون }([٢٠٥]) .

وعند مسلم ، عن أبي سعيد الخدري في الرؤية من حديث طويل ، وفيه:{ ... فقالوا يا رسـول ا كأنك كنت ترعى بالبادية ، قال : فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة :هؤلاء عتقاء ا الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه، ثُم يقول : ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين فيقول : لكم عندي أفضل مـن هـذا ، فيقولون : يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقولون : رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبداً}([٢٠٦])

وفي كتاب الزهد لابن المبارك : { وغضب ا ... لا دواء له إلا رضـوان ا - تعـالى - }([٢٠٧]) .

فليبشر المؤمن الصادق فله الرضا من ا ، كما قال ا - تعالى - : { الذِين ءامنُوا وهـاجروا وجاهدوا فِي سبِيلِ اللهِ بِأَموالِهِم وأَنفُسِهِم أَعظَم درجةً عِند اللهِ وأُولائِك هم الْفَآئِزون ، يبشرهم ربهـم بِرحمةٍ مـنْه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فِيها نَعِيم مقِيم ، خَـالِدِين فِيهآ أَبدا إِن الله عِنْده أَجـر عظِيـم }([٢٠٨]) .

ولقد قص ا علينا في كتابه الكريم أنباء وأخبار المستحقين لرضوانه – سبحانه وتعالى - على مستوى الجماعة وعلى مستوى الفرد ، كما في قوله - عزوجل - : { لِلْفُقَرآءِ الْمهـاجِرِين الذِيـن أُخْرِجوا مِن دِيارِهِم وأَموالِهِم يبتَغُون فَضلاً مـن اللهِ ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أُولائِـك هـم الصـادِقُون }([٢٠٩]) .

قال ابن كثير - رحمه ا تعالى - في تفسير الآية : { يقول تعالى مبيناً حال المستحقين لمـال الفيء أنهم { الذِين أُخْرِجوا مِن دِيارِهِم وأَموالِهِم يبتَغُون فَضلاً مـن اللهِ ورضوانًا } أي : خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة ا ورضوانه { وينصرون الله ورسوله أُولائِك هم الصادِقُون } أي : هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم ، وهؤلاء هم سادات المهاجرين }([٢١٠]) .

الذي يطلب رضا ا ويعمل من أجله هو الصادق في قوله وعمله ، فهم يطلبون الرضا ويبتغون مرضاة ا ، ولذلك قص ا - تعالى - أمر موسى - عليه السلام - حينمـا عجـل لإرضـاء ربـه وحصوله على رضاه فقال - سبحانه - : { ومآ أَعجلَك عـن قَومِك يـاموسى ، قَالَ هم أُولآءِ علـى أَثَرِي وعجِلْتُ إِلَيك رب لِتَرضى }([٢١١]) ، وموسى ممن رضي ا عنهم ولكن كان شـغوفاً ليزيـد رضى ا عنه فسبق قومه لذلك فقال : { لِتَرضى } أي لتزداد عني رضا([٢١٢]) .

وكم رغّب ا في رضاه ، والحصول على أثر هذه الصفة العظيمة ، في مثل قوله - سبحانه - : { اعلموا أَنما الْحيـاةُ الدنْيا لَعِب ولهو وزِينَةٌ وتَفَاخُر بينَكُم وتَكَاثُر فِي الأَموالِ والأولادِ كَمثَلِ غَيـثٍ أَعجب الْكُفار نَباتُه ثُم يهِيج فَتَراه مصفَرا ثُم يكُون حطاما وفِي الآخِرةِ عذَاب شَدِيد ومغْفِرةٌ مـن اللـهِ ورِضوان وما الْحياةُ الدنْيآ إِلا متَـاع الْغُرور }([٢١٣]) .

فالآخرة كائنة لا محالة ، حذر ا - سبحانه وتعالى - في هذه الآية من أمرها ، ورغّـب فيمـا

فيها من الخير فقال - سبحانه - : { وفي الآخِرةِ عذاب شَدِيد ومغْفِرةٌ مـِن اللـهِ ورِضـوان } فليس في الآخرة القريبة إلا هذا أو هذا ، إما عذاب وإما مغفرة من ا ورضوان([٢١٤]) .

فهي دعوة وترغيب في طلب رضوان ا ومغفرته .

ولذلك فالمؤمن يطلب رضا ا حتى لو وصل به ذلك إلى إسخاط الناس ، بل وليس الأباعد ولكن حتى لو سخط الأقارب كما قال - سبحانه - : { لا تَجِد قَوما يؤْمِنُون بِاللهِ والْيومِ الآخِرِ يوآدون من حآد الله ورسوله ولو كانُوا ءاباَءهم أَو أَبنآءهم أَو إِخْوانهم أَو عشِيرتَهم أُولائِك كَتَـب فِـي قُلُوبِهـم الإِيـمان وأَيدهم بِروح مـِنْه ويدخِلُهم جنـاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهـار خَالِدِين فِيها رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه أُولائِك حِزب اللهِ أَلا إِن حِزب اللهِ هم الْمفْلِحون }([٢١٥]) .

قال ابن كثير - رحمه ا - : { ... وفي قوله تعالى : { رضِي الله عنْهم ورضوا عنْه } سـر بديع ؛ وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في ا - تعالى - عوضـهم ا بالرضـا عنهـم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم ، والفضل العميم }([٢١٦]) .

والاقتداء بالرسل في طلب رضا ا هو المأمور به في آيات كثيرة ، منها : قوله - تعالى - عن إسماعيل - عليه السلام - : { واذْكُر فِي الْكتابِ إِسماعِيلَ إِنه كان صادِقَ الْوعدِ وكان رسـولاً نبِيـا ، وكان يأْمر أَهله بِالصلاةِ والزكَـاةِ وكان عِند ربهِ مرضِيا }([٢١٧]) .

ولقد كان محمد -ﷺ- أزكى من رضي ا عنهم ، فكانت له الشفاعة العظمى .

وكم من شافع لاتنفع شفاعته يوم القيامة ؛ لأن ا لم يأذن ، ولم يرض له قولاً ، ولم يرض عن المشفوع له ، كما قال - سبحانه - : { يومئِذٍ لا تَنفَع الشفَاعةُ إِلا من أَذِن له الرحمـــن ورضِـي له قَولاً }([٢١٨]) ، وقال سبحانه : { وكَم مـِن ملَكٍ فِي السماواتِ لا تُغْنِي شَفَاعتُهم شيئًا إِلا مِن بعدِ أَن يأْذَن الله لِمن يشَآء ويرضى }([٢١٩]) ، وقال - عزوجل - : { ولا يشْفَعون إِلا لِمنِ ارتَضى } ([٢٢٠]) .

فلابد في الشفاعة من الرضا :

١ - الرضا عن الشافع .

٢ - الرضا عن المشفوع له ، مع إذنه - سبحانه - بالشفاعة([٢٢١]) .

وهذا في الشفاعة العامة التي للنبي -ﷺ- ولسائر الأنبياء والصديقين والشهداء والصـالحين ، أما الشفاعة العظمى فهي خاصة به -ﷺ- وهي المقام المحمود ، الذي يدل على أن محمداً -ﷺ- خير من رضي ا عنه .

وكم هي أمنية المؤمن الصادق أن يحصل على رضا ا - تعالى - كما قال - سبحانه - عـن سليمان - عليه السلام- : { وحشِر لِسلَيمان جنُوده مِن الْجِن والإِنْسِ والطيرِ فَهم يوزعون ، حتى إِذَآ أَتَوا على وادِ النملِ قَالَتْ نَملَةٌ ياأَيها النملُ ادخُلُوا مساكِنَكُم لا يحطِمنكُم سليمـــان وجنُـوده وهـم لا يشْعرون ، فَتَبسم ضاحِكًا مـِن قَولِها وقَالَ رب أَوزِعنِي أَن أَشْكُر نِعمتَك الَتِي أَنْعمتَ علي وعلى والِدي وأَن أَعملَ صالِحا تَرضاه وأَدخِلْنِي بِرحمتِك فِي عِبادِك الصالِحِيـن }([٢٢٢]) .

قال ابن كثير - رحمه ا - : { { وأَن أَعملَ صالِحا تَرضاه } أي : عملاً تحبـه وترضـاه }([٢٢٣]) .

وهذا التعبير من سليمان - عليه السلام - ، يشير بنعمة ا عليه ، ويصور نوع تأثره ورضـاه بما أنعم ا عليه فهو بهذا : توجه بقوة وارتعاش وجدان ، وارتياع بال ، إلى طلب ما يحقق له رضا ا ، بأن يوفقه إلى شكر نعمة ا عليه وعلى والديه ، وإلى عمل ما يرضي ا - سبحانه - .

والتشوق إلى رضا ا - عزوجل - ورحمته في اللحظة التي تتجلى فيها نعمته منزلة شـريفة يتميز بها عباد ا المخلصين الصادقين الصالحين .

قال ا - تعالى - : { ومِن الناس من يشْري نَفْسه ابتِغَآء مرضاتِ اللهِ والله رءوفُ بِالْعِبادِ }([]) [٢٢٤] .

نزلت في صهيب بن سنان الرومي - رضي ا عنه - ، وذلك أنه لما أسلم بمكة وأراد الهجرة منعه الناس أن يهاجر بماله وإن أحب أن يتجرد ويهاجر فعل ، فتخلص منهم وأعطاهم ماله ، فـأنزل ا فيه هذه الآية ، فتلقاه عمر بن الخطاب - رضي ا عنه - وجماعة إلى طرف الحرة في طـرف المدينة النبوية ، فقالوا له : ربح البيع ، فقال : نعم ، وأنتم فـلا أخسـر ا تجـارتكم ، ومـا ذاك ؟ فأخبروه أن ا أنزل فيه هذه الآية([٢٢٥]) .

إي وا ربح البيع صهيب ، وكل مجاهد ، وكل مهاجر قـد هجـر الشـرك ، وهجـر الكبا ئر والمعاصي ، وفدا دينه وعبادته وتوحيده ، وابتغى مرضاة ا - تعالى - .

وفي الحديث : عن ثوبان - رضي ا عنه - عن النبي -ﷺ- قال : { إن العبد ليلتمس مرضاة ا - تعالى - فلا يزال بذلك فيقول ا - عزّوجل - لجبريل إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي عليه ، فيقول جبريل : رحمة ا على فلان ، ويقولها حملة العرش ، ويقولها من حولهم ، حتى يقولها أهل السموات السبع ، ثُم يهبط إلى الأرض }([٢٢٦])

ولا يستوي من طلب الرضا واتبع الرضا مع من باء بسخط ا واتبع الغواية ، وانحـرف عـن عبادة ا ، وأسخط ربه بشركه ، وضلاله : { أَفَمن اتبع رضوان اللهِ كَمن بآء بِسخَـطٍ مـِـن اللـهِ ومأْواه جهنم وبِئْـس الْمصِير }([٢٢٧])

قال ابن كثير - رحمه ا تعالى - : { أي لايستوي من اتبع رضوان ا فيما شرعه فاسـتحق رضوان ا وجزيل ثوابه وأجير من وبيل عقابه ، ومن استحق غضب ا وألزم به فلا محيد له عنه ، ومأواه يوم القيامة جهنم وساءت مصيراً }([٢٢٨])

قلتُ : لايستوي من أسس حياته على تقوى من ا ورضوانه ، ومن أسس حياته على النفـاق والصد عن رضا ا وفرق بين المؤمنين أو حارب أمر ا ورسوله ، أو تركه ولم يعمل به .

قال ا - تعالى - : { أَفَمن أَسس بنْيـانَه على تَقْوى مِن اللهِ ورضوانٍ خَيـر أَم مـن أَسـس بنْيـانَه على شَفَا جرفٍ هارٍ فَانْهار بِهِ فِي نَارِ جهنم والله لا يهدِي الْقَوم الظـالِمِيـن }([٢٢٩]) .

وقال - سبحانه - : { لا خَير فِي كَثِيرٍ مـن نَجواهم إِلا من أَمر بِصدقَةٍ أَو معروفٍ أَو إِصـلاحٍ بين الناس ومن يفْعلْ ذَلِك ابتِغَآء مرضاتِ اللهِ فَسوفَ نُؤْتِيهِ أَجرا عظِيما }([٢٣٠]) .

ولهذا كله يجب على كل مسلم إعانة طالب الرضا وعدم صده عن ذلـك ، فـا - سـبحانه – يقـول - وقوله الحق - : { يأَيها الذِين ءامنُوا لا تُحِلوا شَعائِر اللهِ ولا الشهر الْحرام ولا الْهدي ولا الْقَلائِد ولاء آمين الْبيتَ الْحرام يبتَغُون فَضلاً مـن ربهِم ورضوا نًا وإِذَا حلَلْتُم فَاصطَادوا ولا يجرِمنَّكُم شَنَآن قَومٍ أَن صدوكُم عن الْمسجِدِ الْحرامِ أَن تَعتَدوا وتَعاونُوا على الْبِر والتقْوى ولا تَعاونُوا على الإِثْمِ والْعدوان واتقُوا الله إِن الله شَدِيد الْعِقَابِ}([٢٣١]) .

فمن معاني الآية : { ... لاتستحلوا قتال القاصدين إلى بيت ا الحرام ، الذي من دخله كان آمناً ، وكذا من قصده طالباً فضل ا وراغباً في رضوانه ، فلاتصدوه ولاتمنعوه ولاتهيجوه }([٢٣٢]) .

وقوله : { ورضوانًا } قال ابن عباس : { يترضون ا بحجهم }([٢٣٣]) .

ورضا ا -سبحانه وتعالى- من خير ما يعطيه لعباده الصالحين يوم القيامة ، كما فـي حديـث

أنس - رضي ا عنه - وفيه : { ... ثُم يتجلى لهم فيقول : أنا الذي صدقتم وعدي ، وأتممت عليكم نعمتي ، وهذا محل كرامتي فسلوني ، فيسألونه الرضا ، فيقول : رضائي أحلكم داري ، وأنا لكم كرامتي ، فسلوني ، فيسألونه الرضا ، فيشهدهم الرضا ، ثُم يفتح لهم ما لم تر عين ، ولم يخطر على قلب بشر إلى مقدار منصرفهم من الجمعة ... } الحديث([٢٣٤]) .

{ قُلْ أَؤُنَبِـئُكُم بِخَيرٍ مِـن ذَلِكُم لِلذِين اتقَوا عِند ربهم جنـاتٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأَنْهار خَـالِدِين فِيها وَأَزواج مطَهرةٌ ورضوان مِـن اللهِ والله بصِير بِالْعِبادِ }([٢٣٥]) أي : يحـل عليهـم رضـوانه فلايسخط عليهم بعد أبداً .

وفي معنى الحديث السابق قال ابن القيم - رحمه ا تعالى - :

فبينا همو في عيشهم وسرورهم وأرزاقهم تجري عليهـم وتقسم

ذا هم بنور سـاطع أشرقت له بأقطارها الجنات لا يتـوهم

تجلى لهم رب السموات جهرة فيضحك فـوق ثُم يكلم

سلام عليكم يسمعون جميعهم بآذانهم تسليـمه إذ يسلم

يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما تريدون عنـدي أنني أنا أرحم

فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا فأنت الذي تولي الجميل وترحم

فيعطيهم هذا ويشهد جميعهم عليـه تعالى ا فا أكرم([٢٣٦])

عن ابن عباس عن جويرية أن النبي -ﷺ- خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح - وهي في مسجدها ، ثُم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة ، فقال : ما زلتِ على الحال الـتي فارقـتكِ عليهـا ؟ قالت : نعم . قال النبي -ﷺ- : { لقد قلتُ بعدكِ أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلتِ منذ اليوم لوزنتهن : سبحان ا وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ومداد كلماته }([٢٣٧]) .

فقوله : { ورضا نفسه } يتضمن أمرين عظيمين :

أحدهما : أن يكون المراد تسبيحاً هو والعظمة والجلال سيان .

والثاني : وارضا نفسه .

فهو في الأول : مخبر عن تسبيح مساوٍ لعدد خلقه ، والثاني مثبت لرضا نفس الرب لا نهاية له في العظمة والوصف .

فالتسبيح ثناء عليه يتضمن التعظيم والتنزيه .

فإذا كانت أوصاف كماله ونعوت جلاله لا نهاية لها ولا غاية ، بل هي أعظم من ذلك وأجل ؛ كان الثناء عليه بها كذلك إذ هو تابع لها إخباراً وإنشاء ، وهذا معنى الأول من غير عكس .

وإذا كان إحسانه - سبحانه - وثوابه وبركته وخيره لا منتهى له ، وهو من موجبـات رضـاه وثمرته فكـيف بصفة الرضا؟ .

وقد ذكر في الأثر : { إذا باركت لم يكن لبركتي منتهى } فكيف بالصفة التي صدرت عنها البركة ، وهي الرضا ؟ .

{ والرضا يستلزم المحبة والإحسان والجود والبر والعفو والصفح والمغفرة ، والخالـق يستلـزم العلم والقدرة والإرادة والحياة والحكمة ، وكل ذلك داخل في رضا نفسه ، وصفة خلقه }([٢٣٨]) .

وهذا الحديث متضمن لثلاثة أصول :

الأول : إثبات صفات الكمال - سبحانه - ومنها صفة الرضا ، والثناء عليه بها .

الثاني : محبته والرضا به .

الثالث : اجتماع الحمد والتنزيه على أكمل الوجوه ، وأعظمها قدراً ، وأكثرها عـدداً، وأجزلهـا وصفاً ، وهذه مزية وفضل عظيمين .

قبول الرضا :

إن العمل اليسير الموافق لمرضاة ا وسنة المصطفى -ﷺ- خير وأحب إلى ا من العمل الكثير إذا خلا عن ذلك ، أو عن بعضه .

يوضح ذلك آيات كثيرة ، منها : قول ا - تعالى - : { الَّذِي خَلَقَ الْمَوتَ والْحياةَ لِيبلُوكُم أَيكُـم أَحسن عملاً وهو الْعزِيز الْغفُور }([٢٣٩]) ، وقوله - سبحانه وتعالى - : { إِنا جعلْنا ما على الأرض زِينةً لها لِنبلُوهم أَيهم أَحسن عملاً }([٢٤٠]). وقـوله - عزوجل - : { وهو الَّذِي خَلَقَ السمـاواتِ والأرض فِي سِتةِ أَيامٍ وكان عرشُه علـى الْمآءِ لِيبلُوكُم أَيكُم أَحسن عملاً }([٢٤١]) فا - سـبحانه وتعالى - خلق السموات والأرض والموت والحياة وزين الأرض بما فيها وما عليها ليبلو العباد أيهـم أحسن عملاً لا أكثر عملاً .

وحسن العمل هو : خلاصه وصوابه ، وموافقته لمرضاة ا - تعالى - ومحبته ، وليس الأكثـر الخالي من ذلك كله أو بعضه ، والتعبد بالأرضى له وإن كان قليلاً أرضى لـه مـن الأكثر الـذي لايرضيه ، فقد يتفق العملان في الصورة ، وبينهما تفاضل كبير وعظيم ، قد يصل مثل ما بين السماء والأرض .

وهذا الفضل يكون بحسب رضا ا - سبحانه وتعالى - بالعمل وقبوله ومحبته وفرحه به كمـا قال -ﷺ- : { أشد فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها }([٢٤٢]) .

قال البيهقي في شرح الحديث : { قوله : أفرح : معناه أرضى بالتوبة وأقبل لها ، والفرح قد يكون بمعنى الرضا . قال تعالى : { كُلُّ حِزبٍ بِما لَديهِم فَرِحون }([٢٤٣]) أي : راضون }([٢٤٤]) .

ولهذا كان قبول العمل بحسب رضا الرب - سبحانه وتعالى - به ، فقد يتصدق اثنـان أحدهمـا بكثير أو مرات متعددة والآخر بقليل ، أو مرة ، حسب استطاعته وغناه ، ولكن صدقة هذا تفضل على صدقة الأول بكثير ، وذلك بحسب محبة ا وقبوله لها ، ورضاه قبل هذه وهذه .

فقبول الرضا والمحبة والاعتداد والمباهاة شيء ، وقبول الثواب والجزاء شـيء ؛ لأن القبول أنواع :

النوع الأول :

قبول رضا ، ومحبة ، واعتداد ، ومباهاة ، وثناء على العامل بين الملأ الأعلى ، كما تقـدم فـي حديث ثوبان عن النبي -ﷺ- قال : { إن العبد ليلتمس مرضـاة ا - عزوجـل - فلايـزال كـذلك ، فيقول : يا جبريل إن عبدي فلاناً يلتمس أن يرضيني برضائي عليه ، قال : فيقـول جبريـل - ﷺ - رحمة ا على فلان ، وتقول حملة العرش ، ويقول الذين يلونهم ، حتى يقول أهل السموات السبـع ، ثم يهبط إلى الأرض ، ثم قال رسول ا -ﷺ- : وهي الآية التي أنزل ا عليكـم فـي كتابـه : { إِن الَّذِين ءامنُوا وعمِلُوا الصـالِحـاتِ سيجعلُ لهم الرحمــن ودا }([٢٤٥]) ، وإن العبد ليلتمس سخط ا ، فيقول ا – عزوجــل - يا جبريل إن فلاناً يستسخطـني ، ألا وإن غضـبي عليـه ، فيقـول جبريل : غضب ا على فلان ، وتقول حملة العرش ، ويقول من دونهم ، حتى يقوله أهل السمـوات السبع ، ثم يهبط إلى الأرض }([٢٤٦]) .

ويشهد لهذا المعنى ما أخرجه البخاري ومسلم([٢٤٧]) عن أبي هر يرة - رضـي ا عنـه - قال : قال رسول ا -ﷺ- : { إن ا إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال : إني أحـب فلانـاً فـأحبوه ، فيحبه جبريل ، ثُم ينادي في السماء ، فيقول : إن ا يحب فلاناً فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قـال : ثُم يوضع له القبول في الأرض . وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، قال : فيبغضه جبريل ، ثُم ينادي في أهل السماء : إن ا يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ثُم توضع له البغضاء في الأرض } .

وعن عمرو بن مالك الرواسي([٢٤٨]) قال : أتيت النبي -ﷺ- فقلـت : يـا رسـول ا -ﷺ- ارض عني قال : فأعرض عني ثلاثاً ، قال : فات : يا رسول ا ، إن الرب ليترضى فيرضى ، قـال : فرضي عني([٢٤٩]) .

وعن أبي هريرة - رضي ا عنه - قال : قال رسول ا -ﷺ- : { يقول ا - تعـالى - أنـا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربـت إليـه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة }([٢٥٠]) .

وعنه أيضاً قال : قال رسول ا -ﷺ- : { إن ا قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بـالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتـى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شـيء أنـا فاعلـه ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته }([٢٥١]) .

وكل هذا من أثر رضا ا عن العبد ، وقبوله له قبول رضا ومحبة واعتداد ومباهاة .

ومن المباهاة بالمؤمنين ما رواه أبو سعيد الخدري قال : خرج معاوية على حلقة في المسجـد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر ا ، قال : آ ما أجلسكم إلا ذاك ؟ ، قالوا : وا ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول ا -ﷺ- أقل عنـه حديثاً مني ، وإن رسول ا ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : { ما أجلسكم ؟ } ، قالوا : جلسنـا نذكر ا ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومن به علينا ، قال : { آ ما أجلسكم إلا ذاك ؟ } قـالوا : وا ما أجلسنا إلا ذاك . قال : { أما إني لم أسـتحلفكم تهمة لكم ؛ ولكنه أتاني جبـريل فأخبرني أن ا – عز وجل - يباهي بكم الملائكة }([٢٥٢]) .

النوع الثاني :

قبول جزاء وثواب ، وإن لم يقع موقع الأول ، ولعل مما يوضح ذلك قوله - سبحانه - : { ثُـم ءاتَينَا موسى الْـكِـــتَاب تَماما على الَذِي أَحسن وتَفْصِيلاً لِكُلِ شَيءٍ وهدي ورحمةً لعلهـم بِلِقَـآءِ ربهم يؤْمِنُون }([٢٥٣]) .

قال ابن كثير - رحمه ا - في تفسير هذه الآية : { أي جزاء على إحسانه في العمل وقيامـه بأوامرنا وطاعتنا كقوله : { هلْ جزآء الإِحسان إِلا الإِحسان }([٢٥٤]) ... وقال قتادة : من أحسـن في الدنيا تمم له ذلك في الآخرة }([٢٥٥])

ويوضحه قول ا - تعالى - : { لِلذِين أَحسنُوا الْحسنَى وزِيادةٌ }([٢٥٦]) فمن أحسن العمـل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح فله الحسنى في الآخرة ، كقوله - تعالى - : { هلْ جزآء الإِحسـان إِلا الإِحسان } أما قوله : { وزِيادةٌ } فهذا تضعيف لمن استحق ذلك ، فيضاعف لـه الحسنـة بعشـر

أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، ويشمل ذلك ما يعطيه ا المؤمنين في الجنان ، من القصور ، والحور ، والرضا ، وما أخفاه ا لهم من قرة أعين ، وأفضل من ذلـك كلـه أعـلاه النظر إلى وجهه الكريم([٢٥٧]) .

أما النوع الثالث :

{ فقبول إسقاط للعقاب فقط ، وإن لم يترتب عليه ثواب وجزاء ، كقبول صلاة من لم يحضر قلبه في شيء منها ؛ فإنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها }([٢٥٨]) .

فإذا صلى بالصفة السابقة سقط عنه الفرض ، لكنه لايثاب عليها ، ومثل ذلك صلاة العبد الآبق ، وصلاة من أتى العراف فصدقه فيما يقول ، فقد قال بعض العلماء : إن صلاة هؤلاء لاتقبل ومـع هـذا لايؤمرون بالإعادة([٢٥٩]) .

أما من غلط فأول الصفات ، أو عطّلها ، ومنها صفة الرضا ، فـيرون أن الأعمـال متساويـة ، والجزاء والثواب عليها واحد ، ولا أثر لرضا ا - سبحانه وتعالى - فيها

وهذا دليل على عدم الفقه في أسماء ا - تعالى - وصفاته ، فإنه يتبع ذلك عدم الفقه في شرع ا وأمره ، فلا فقه لهم في أعمال القلوب ، وحقائق الإيمان با - تعالى - وبأسمائه وصفاته .

المبـحث التـاسع : من أسبـاب حصول الرضا

جعل ا - سبحانه - في مقابلة أسباب عصيانه وسخطه وغضبه أسباباً يحبهـا ، ويرضـاها ، ويفرح بها أكمل فرح ولهذا استعاذ النبي -ﷺ- بصفة الرضا من صفة السخط ، وما يستعاذ به صادر عن مشيئة ا وإرادته وقضائه ، وأذن في وقوع الأسباب ، فمنه السبب والمسبب .

فإذا أغضبته - سبحانه - معاصي الخلق ، وكفرهم ، وشـركهم ، وظلمهـم ، أرضـاه تسبيـح ملائكته ، وعبادة المؤمنين له ، وحمدهم إياه ، وطاعتهم له ، فيعيذ رضاه من غضبه([٢٦٠]) .

وهذه بعض تلك الأسباب على سبيل الاختصار :

١ - الحمد :

فعن أنس مرفوعاً : { إن ا ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليهـا ، ويشـرب الشربـة فيحمده عليها }([٢٦١]) .

والحمد مكمل الرضا ، ومنزلته عظيمة ، وهو علامة رضى ا على عباده ، وإنعامه عليهم .

الحمد الذي افتتح ا به كتابه الكريم ، وخلقه واختتمه .

فله الحمد في الأولى والآخرة ، أي : في جميع ما خلق ، وما هو خالق ، هو المحمود في ذلـك كله([٢٦٢]) .

قال علي - رضي ا عنه - : { الحمد كلمة أحبها ا ورضيها ، وأحب أن تقـال }([٢٦٣]) ، وفي الحديث : { أن أهل الجنة يلهمونها مع التسبيح كما يلهمون النفس }([٢٦٤]) .

٢ - الشكر :

قال ا تعالى : { ولا يرضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وإن تَشْكُروا يرضه لكُـم }([٢٦٥]) ، فعلـق الرضـا بشكرهم ، وجعله مجزوماً جزاء له ، وجزاء الشرط لايكون إلا بعده ، فالشكر سبب الحصول على رضا ا ، والرضا جزاء الشكر([٢٦٦]) .

٣ - الشوق إلى لقاء ا :

الشوق إلى لقاء ا بالشوق إلى المبادرة إلى طاعته - سبحانه - ، وإن كان ذلك يـؤدي إلـى

الشهادة في سبيله ، وكم يكون الشوق حادياً للحصول على الرضا ، وسمة ذلك كما قال الشاعر :

وأخرج من بيـــــــــن البيوت لعلني أحدث عنك القلب بالسر خالياً([٢٦٧])

فالشوق يحمل المحب على العجلة في رضا المحبوب ، والمبادرة إليه على الفور ، ولو كان فيها تلفه كما حصل من نبي الله موسى - عليه السلام - فيما حكاه الله عنه في القرآن الكـريم : { ومـآ أَعجَلَك عن قَومِكَ يـاموسى ، قالَ هم أُولآءِ على أَثَري وعجِلْتُ إِليـك رب لِتَرضـى }([٢٦٨]) ، وقال بعض المفسرين للآية : { أراد شوقاً إليك فستره بلفظ الرضا }([٢٦٩])

٤ - المبادرة إلى طاعات الله وإن اكتنفها مشقة وخوف أو نحو ذلك :

فأهل بيعة الرضوان الذين بادروا وتسابقوا في نصرة النبي - ﷺ- ونصرة دينه ، والإخلاص في ذلك ، قال الله –تعالى- فيهم : { لقَد رضِيَ الله عن المُؤْمِنِيـن إِذْ يبايِعونَكَ تَحتَ الشجرةِ فَعلِم ما فِي قُلُوبِهِم فَأَنْزلَ السكِينَةَ عليهم وأَثَـابهم فَتْحا قَرِيبا ، ومغَانِم كَثِيرةً يأْخُذُونَها وكَان الله عزِيزا حكِيما }([٢٧٠]) ، وفي الحديث : { لايدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها } ([٢٧١]) .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله -ﷺ- قال : { ... لعل الله أن يكون قد اطلع على أهـل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم }([٢٧٢]) ، وهذا كناية عن كمال الرضا ، وصلاح الحال ، وتوفيقهم للخير لا للترخص في كل فعل([٢٧٣])

والأسباب كثيرة ، وبعضها أفضل من بعض ، كالصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ، والجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك { ومِن ٱلناسِ من يشْرِي نَفْسه ابتِغَآء مرضاتِ اللهِ والله رءوفُ بِالْعِبادِ }([٢٧٤]) ، وما ذكرناه نماذج فقط ، وبعضاً من الأسباب المتعددة ، التي من حققها حصل على رضوان الله .

وأما الغضب مع الرضا والبغض مع الحب فهو أكمل ممن لايكون منه إلا الرضا ، والحـب دون البغض والغضب للأمور المذمومة التي تستحق أن تذم وتبغض([٢٧٥]) .

• • •

الخاتمة :

هذا ما تيسر جمعه وكتابته في هذا الموضوع المهم ، وبهذا الأسلوب الواضح الجلـي السهل ، وقد قصدتُ بذلك أن يكون منهجاً لكل مسلم في الإيمان بكل اسم لله تعالى أو صفة من صفاته سبحانه .

فالإيمان بها هو الإيمان بأن لله أسماء وصفات سمى نفسه ووصفها بهذه الأسـماء والصفـات إيماناً يتمثل في تعظيمه - سبحانه - وتقديسه والتعبد بها والعمل بمقتضاها .

وهذه هي النتيجة الأولى والمهمة من نتائج هذا البحث ، وإلا فهناك نتائج مهمة مكملة لهـذه ، منها :

١ - إن من أعظم ، بل أعظم العلوم : معرفة الله بأسمائه وصفاته - سبحانه - .

٢ - حاصل تعريف الرضا في اللغة والشرع : إثبات صفة الرضا لله - تعـالى - ، مـن غيـر تكييف ولا تمثيل ، معلوم معناها حق على حقيقتها ، كأي صفة من صفات الله - تعالى - .

٣ - أن العقل الصحيح الصريح يعلم أن نصوص كتاب الله وسنة نبيه -ﷺ- وكلام سلف الأمة : دلت على ثبوت صفة الرضا لله - تعالى - ، فلايعطل من صفته اللائقة به ، ولا تعطل النصوص عمـا

دلت عليه من الكمال - تعالى - ، وهذا هو الحق الذي عليه سلف الأمة ، وأئمتهـا ، ومـن تبعهم بإحسان .

٤ - أن الطريق الصحيح لمعرفة ا بأسمائه وصفاته واحد لايتعدد ؛ هو كتاب ا وسنة نبيه - ﷺ- ، فليس للعقل أن ينكر ذلك أو يدعى ما يخالف الوحي في إثبات ما أثبته ا لنفسه أو نفاه عنها ، وإلا فهو ضال ، بعيد عن الحق ، وفهمه والالتزام به .

٥ - أن من تأول صفة الرضا ، أو قال بأنها مخلوقة ، أو نفاها عنه - سبحانه - ، وجعلها إما مجازاً أو صفة لبعض مخلوقاته ، فقد ضل عن الصواب ، وتبرأ منـه أهـل الإثبـات ؛ أهـل السنـة والجماعة ، بل ردوه عليه بالسمع ، والعقل الموافقان للغة، والفطرة السليمة.

٦ - إذا لم يكن للإيمان بصفات ا - عزوجل - ومنها صفة الرضا - أثر على حيـاة المسلـم وعمله فإنه لم يحقق التوحيد على الحقيقة ؛ لأن العلم بالصفات دون العمل بمقتضاها، ليس هو الإيمان المطلوب ، بل لابد مع العلم من العمل بما أخبر ا به عن نفسه ، والعمل بما يدل عليه ذلك الخبر .

٧ - فعل الأسباب المأمور بها يحقق للمؤمن رضى ا -تعالى- في الدنيا ، والآخرة. كما قـال ا -تعالى- : { ومِن الناس من يشْرِي نَفْسه ابتِغَآء مرضاتِ اللهِ والله رءوفُ بِالْعِبادِ }([٢٧٦]) .

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين ، وصلى ا وسلم على محمـد وآلـه وصـحبه وسـلم أجمعين .

• • •

الحواشي والتعليقات

(١) سورة المؤمنون : الآيتان ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١٠٩ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٢ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

(٥) سورة النور : الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

(٦) آخر سورة الفتح : الآية ٢٩ .

(٧) سورة النساء : الآية ١٤ .

(٨) سورة الأحزاب : من الآية ٣٦ .

(٩) سورة طه : الآيات ١٢٤ - ١٢٦ .

(١٠)سورة ص : من الآية ٢٦ .

(١١)سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(١٢)سورة الأنعام : من الآية ١٥٣ .

(١٣)حديث صحيح أخرجه الطيالسي برقم ٢٤٤ ، وأحمد في المسند ٤٣٥/١ ، والحاكم ٣١٨/٢ ، وقال: { حديث صحيح الإسناد } ووافقه الذهبي ، والبزار في كشف الأستار رقم ٢٢١٢ ، والدارمي في المقدمة ، باب : كراهية أخذ الرأي .

(١٤)أخرجه أبو داود في كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها ٩٧/٤ ، وابن ماجة في كتاب الحدود ، باب من عمل عمل قوم لوط ٨٥٦/٢ ، والترمذي في كتاب الفتن ، باب ٥٠ ، والدارمي في المقدمة ، باب كراهية أخذ الرأي ، وباب إن ا كره لكم قيل وقال ، وابن حبان في صحيحه ١٠/ ٤٣١ ، ١١٠/١٥ ، والإمام أحمد في المسند ١٢٣/٤ ، ٢٧٨/٥ ٢٨٤ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢١/٧ : { ورجال أحمد رجال الصحيح } .

(١٥)أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤٢٠/٤ ، ٤٢٣ ، والطبراني في المعجم الصغير ٣٠٩/١ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٨٨/١ : { رواه أحمد والبزار والطبراني في الثلاثة ورجاله رجال الصحيح } ، وقال في ٣٠٦/٧ : { رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح } ، وانظر : الترغيب والترهيب للمنذري ١٠١/٣ .

(١٦)أتباع جهم بن صفوان : ينفون الصفات ويقولون بالإرجاء وبالجبر ، وفناء الجنة والنار ، وخالفوا السلف في كثير من مسائل الاعتقاد . انظر : الفرق بين الفرق ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، والبداية والنهاية ٢٦/١٠ - ٢٧ ، والملل والنحل للشهرستاني ١٠٩/١ - ١١٢ .

(١٧)خلق أفعال العباد ٣٨/١ ، والآية في سورة طه : الآية ٥ .

(١٨)هو : الكاتب المتكلم ، أس الضلالة ، صاحب الذكاء والجدال ، المنكر للصفات ، القائل بخلق القرآن ، وأن ا في كل مكان ، والإيمان بالقلب وإن نطق بالكفر ، رأس الجهمية : الجهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي قيل : إن سلم بن أحوز قتله لإنكاره أن ا كلم موسى عليه السلام . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٦/٦ - ٢٧ ، وميزان الاعتدال ٤٢٦/١ ، والملل والنحل ١٩٩/١ - ٢٠٠ .

(١٩)انظر : العقيدة الأصفهانية ١٦٧/٢ .

(٢٠)سورة التوبة : من الآية ١٠٠ .
(٢١)سورة النور : الآية ٥٥ .
(٢٢)سورة التوبة : الآية ٧٢ .
(٢٣)سورة النساء : الآيتان ١١٤ ، ١١٥ .
(٢٤)انظر : لسان العرب ٣٢٣/١٤ - ٢٢٤ ، ٣١٢/٧ - ٣١٣ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ .
(٢٥)انظر : النهاية للجزري ٢٣٢/٢ ، باب الراء مع الضاد ، ولسان العرب ٣٢٣/١٤ .
(٢٦)انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ ، والمصباح المنير ٢٧٢/١ .
(٢٧)انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ .
(٢٨)سورة البينة : من الآية ٨ .
(٢٩)انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ .
(٣٠)انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ .
(٣١)انظر : المصباح المنير ٢٧٢/١ ، ولسان العرب ٣٢٤/١٤ .
(٣٢)انظر : لسان العرب ٣٢٤/١٤ ، ومختار الصحاح ص ٢٤٦ .
(٣٣)سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، والتوبة ١٠٠ ، والمجادلة ٢٢ ، والبينة ٨ .
(٣٤)سورة الفتح : من الآية ١٨ .
(٣٥)سورة طه : من الآية ١٠٩ .
(٣٦)سورة المائدة : من الآية ٣ .
(٣٧)سورة النور : من الآية ٥٥ .
(٣٨)سورة الأنبياء : من الآية ٢٨ .
(٣٩)سورة طه : من الآية ٨٤ .
(٤٠)سورة الزمر : من الآية ٧ .
(٤١)سورة النمل : من الآية ١٩ ، والأحقاف : ١٥ .
(٤٢)سورة النساء : من الآية ١٠٨ .
(٤٣)سورة التوبة : من الآية ٩٦ .
(٤٤)أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ... باب استحباب حمد ا تعالى بعد الأكل والشرب ٤ /٢٠٩٥ ، والنسائي في السنن الكبرى ٢٠٢/٤ ، في كتاب الدعاء بعد الأكل ، وباب ثواب الحمد .
(٤٥)سورة النساء : من الآية ١١٤ .
(٤٦)سورة البقرة : من الآية ٢٠٧ .
(٤٧)سورة الممتحنة : من الآية ١ .
(٤٨)سورة الفتح : من الآية ٢٩ ، وسورة الحشر : من الآية ٨ .
(٤٩)سورة التوبة : من الآية ٧٢ .
(٥٠)متفق عليه ، أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ٤٨٧/١٢ ، ومسلم في كتاب الجنة ونعيمها ، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلايسخط عليهم أبداً ٢١٧٦/٤ ، وأخرجه البخاري بنحوه في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار .
(٥١)أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٢/١ ، ومالـك فـي الموطأ في كتاب القرآن باب ماجاء في الدعاء ، وابن خزيمة في صحيحه ٣٣٥/١ ، في كتاب الصلاة

، باب نصب القدمين في السجود ، وباب الدعاء في السجود ، وابن حبان في صحيحه ٢٥٩/٥ ، وغيرهم .

(٥٢)تفسير الطبري ١٦٢/٦ .

(٥٣)الاستقامة ١٣٧ .

(٥٤)ذم التأويل لابن قدامة ص ١٨ .

(٥٥)التدمرية لابن تيمية ، تحقيق السعوي ص ٧ .

(٥٦)سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(٥٧)سورة فصلت : الآية ٤٠ .

(٥٨)سورة الشورى : من الآية ١١ .

(٥٩)انظر : التدمرية بتحقيق السعوي ص ٧ - ٨ .

(٦٠)العرض : ما لايقوم إلا بغيره ، مثل الألوان : السـواد والبيـاض ونحـو ذلـك . انظـر : التعريفات للجرجاني ١٩٣/٢ والتعاريف للمناوي ٥١٠/٢ .

(٦١)الجسم : ما يقوم بنفسه كالحجر والجدار ونحو ذلك . انظر : الصحاح مـادة (جسـم) ، ولسان العرب ٩٩/١٢ .

(٦٢)الجوهر : هو ما يقوم بنفسه كالحائط ونحوه إلا أن الجسم أعم من الجوهر . انظر : لسـان العرب ١٥٢/٤ والتعاريف للمناوي ٦٦٨/٢ ، والتعريفات للجرجاني ١٠٨/٢ .

(٦٣)سورة الشورى : من الآية ١١ .

(٦٤)مثل : فلان لايكتب ، ومثل قول الشاعر :

قبيلة لايغـــــــــــــدرون بذمة ولايظلمون الناس حبة خردل

[انظر : شرح الطحاوية ص ٦٩] .

(٦٥)سورة الكهف : من الآية ٤٩ .

(٦٦)سورة البقرة : من الآية ٢٥٥ .

(٦٧)التدمرية ص ٤٣ .

(٦٨)تفسير ابن كثير ٦/1 .

(٦٩)هي : أم المؤمنين أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد ا بن عمرو بـن مخـزوم القرشية المخزومية، اسمها هند وقيل : رملة ، وأبوها حذيفة ، وقيل : سهيل . وأمها عاتكـة بنـت عامر الكنانية من بني فراس ، وأم سلمة كانت مـن المهـاجرين إلـى الحبشـة هـي وزوجهـا قبـل الرسولتوفيت في خلافة يزيد بن معاوية . انظر : الإصابة ٢٢١/٨ - ٢٢٤ والاستيعاب ١٩٣٩/٨ .

(٧٠)سورة طه : الآية 5 .

(٧١)ذم التأويل لابن قدامة ص ٢٥ ، وفتح الباري ٤٠٦/١٣ ، واعتقاد أهل السنة للالكـائي ٣/ ٣٩٧ .

(٧٢)هو : مفتي المدينة في وقته ، وعالم الوقت ، من أئمة الاجتهـاد ، ومـن رواة الحـديث ، وأحد الحفاظ، شيخ الإمام مالك اسمه : ربيعة ابن أبي عبدالرحمن فروخ التيمـي بـالولاء المشهـور بربيعة الرأي ، روى عن أنس بن مالك وعن التابعين ، قال عنه مالك : { كان ربيعـة أعجـل شـيء جواباً } وقال ابن الماجشون : { وا ما رأيت أحوط لسنة من ربيعة } ، مات ربيعة بالهاشـمية مـن أرض الأنبار سنة ١٣٦ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٨٩/٦ - ٩٦ ، وتاريخ بغداد ٤٢٠/٨ .

(٧٣)ذم التأويل لابن قدامة ص ٢٥ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ٩٠/٦ ، وإثبات صـفة العلـو لابن قدامة ١١٤/٢ .

(٧٤)حجة الأمة ، إمام دار الهجرة ، مالك بن أنس بن مالك المشهور ، امتحن وضرب بالسيـاط ، ألف كثير من الناس في مناقب مالك ، وهو صاحب الموطأ ، وله رسالة في القدر ، وله غير ذلك من الكتب ، توفي سنة ٧٩ هـ رحمه ا ورضي عنه . انظر : سـير أعـلام النبـلاء ٤٨/٨ - ١٣٥ ، والبداية والنهاية ١٧٤/١٠ - ١٧٥ ، وغيرهما .

(٧٥)ذم التأويل لابن قدامة ص ١٣ ، وانظر : اعتقاد أهل السنة للالكائي ٣٩٨/٣ ، والاعتقـاد للبيهقي ١١٦/٢ .

(٧٦)أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب استحباب القـول مثـل قـول المـؤذن .. ٢٨٨/١ ، والنسائي في السنن الكـبرى ٥١١/١ ، ٢٠٣/٦ ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، بـاب ماجـاء فـي الدعاء بين الأذان والإقامة ١٤٥/١ ، وصححه الألباني وأخرجه الترمذي في باب الدعاء عند الأذان ٢٧/٢ ، وقال الألباني : { صحيح } .

(٧٧)العلامة القدوة ، المفسر ، المذكر ، المحدث ، سيف السنة ، ودامغ البدعة ، الزاهد ، أبـو عثمان إسماعيل ابن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري الصابوني ، المولود سنة ٣٧٢ هـ ، والمتوفى سنة ٤٤٩ هـ . انظـر : سير أعلام النبلاء ٤٠/١٨ - ٤٤ ، والنجوم الزاهرة ٦٢/٥ .

(٧٨)الرسالة في اعتقاد أهل السنة ص ٣ - ٤ .

(٧٩)مجموع الفتاوى ٥١٨/٦ .

(٨٠)مجموع الفتاوى ١٧٣/١٢ .

(٨١)سورة المائدة : من الآية ٣ .

(٨٢)سورة المائدة : من الآية ١١٩ .

(٨٣)سورة التوبة : من الآية ١٠٠ .

(٨٤)سورة طه : الآية ١٠٩ .

(٨٥)سورة الفتح : الآية ١٨ .

(٨٦)سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٨٧)سورة طه : الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

(٨٨)سورة النمل : الآية ١٩ .

(٨٩)سورة الأحقاف : من الآية ١٥ .

(٩٠)سورة النساء : الآية ١٠٨ .

(٩١)سورة الزمر : الآية ٧ .

(٩٢)سورة التوبة : الآية ٩٦ .

(٩٣)سورة النور : الآية ٥٥ .

(٩٤)سورة آل عمران : الآية ١٥ .

(٩٥)سورة التوبة : الآية ٧٢ .

(٩٦)سورة الحشر : الآية ٨ .

(٩٧)سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

(٩٨)سورة النساء : الآية ١١٤ .

(٩٩)سبق في ص ١٧١ .

(١٠٠)سبق في ص ١٧١ .

(١٠١)سبق في ص ١٧١ .

(١٠٢)أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ، باب ماجاء في الصبر علـى البـلاء ٦٠١/٤ وقـال : { حسن غريب من هذا الوجه } ، وابن ماجة في الفتن ، باب الصبر على البـلاء ١٣٣٨/٢ ، وقـال الألباني : { حسن } ، وأخرجه الفضاعي في مسند الشهابي ١٧٠/٢ .

(١٠٣)أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ...

(١٠٤)أخرجه ابن حبان في صحيحه في ذكر رجاء المرء من رضوان ا ... ٥١٤/١ ، والحاكم في المستدرك من عدة طرق ١٠٧/١ ، والترمذي في الزهد ، باب في قلة الكلام ، وقـال : { حسـن صحيح} ٥٥٩/٤ ، وابن ماجة في كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة ، وأخرجه الإمام مالك فـي الموطأ ، كتاب الكلام ، باب ما يؤمر به من التحفظ في الكلام ٩٨٥/٢ .

(١٠٥)الشكر لابن أبي الدنيا ص ٤٠ ، وتفسير السيوطي ٣٧٠/١ .

(١٠٦)سورة المطففين : الآية ١٥ .

(١٠٧)اعتقاد أهل السنة للالكائي ٥٠٦/٣ ، والاعتقاد للبيهقي ١٣١/٢ ، وحاشية ابن القيم على سنن أبي داود ٤٢/١٣

(١٠٨)سورة طه : من الآية ٨١ .

(١٠٩)العقيدة للإمام أحمد برواية الخلال ١٠٩/٢ .

(١١٠)سورة النحل : الآية ٧٤ .

(١١١)سورة النحل : الآية ٦٠ .

(١١٢)سورة الروم : الآية ٢٧ .

(١١٣)انظر : التدمرية ص ٥٠ .

(١١٤)سورة فصلت : من الآية ٤٠ .

(١١٥)سورة الأعراف : الآية ١٨٠ .

(١١٦)انظر : التدمرية ص ٧٠ .

(١١٧)ذم التأويل ص ٢٣ .

(١١٨)انظر : جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ١٥٢/١٧ .

(١١٩)انظر : المرجع السابق نفس الموضع .

(١٢٠)انظر : الوابل الصيب لابن القيم ٤٦/١ .

(١٢١)سورة الشورى : من الآية ١١ .

(١٢٢)انظر : رفع الاستار للصنعاني ١٤٢/٢ .

(١٢٣)انظر : المصدر السابق نفس الموضع .

(١٢٤)سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، وسورة التوبة : من الآية ١٠٠ ، وسورة البينة : مـن الآية ٨ .

(١٢٥)انظر : رسالة في الصفات الاختيارية ضمن مجموع الفتاوى ٢١٧/٦ .

(١٢٦)انظر : شرح السيوطي ١٠٤/١ .

(١٢٧)سورة الفتح : من الآية ١٨ .

(١٢٨)انظر : كتاب الإيمان الكبير ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٤٤٤/٧ .

(١٢٩)الاستقامة ٢١٥/١ .

(١٣٠)وصفه - تعالى - بالسكوت ورد في السنة والأثر ، فمن ذلك حديث أبي الدرداء يرفعه : { ما أحل ا في كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عافية ، فاقبلوا مـن ا عافيته ؛ فإن ا لم يكن نسياً ، ثُم تلا هذه الآية { وما كان ربك نَسِيـا } } [مـريم : ٦٤] أخرجـه البزار في كشف الأستار ، وقال : { إسناده صالح } ، والحـاكم فـي المستـدرك ٣٧٥/٢ ، وقـال : { صحيح الإسناد } ، وأقره الذهبي ، وأخرجه البيهقي في الكبرى ١٢/١٠ والدارقطني فـي المعجـم الكبير ٢٥٠/٦ ، ٢٦١ .

ولـه شاهد عن ابن عباس - رضي ا عنه - قال : { كان أهـل الجاهليـة يـأكلون أشـياء ، ويتركون أشياء تقذراً ، فبعث ا - تعالى - نبيه -ﷺ- وأنزل كتابه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامـه ، فما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، وتلا : { قُل لا أَجِدُ فِي مآ أُوحِيَ إلي محرما ... } إلى آخر الآية . أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة ، باب ما لم يذكر تحريمـه رقـم ٣٨٠٠ ، والحاكم في المستدرك ١١٥/٤ وصححه ، ووافقه الذهبي على ذلك ، قال شيخ الإسـلام ابـن تيمية - رحمه ا - : { فثبت بالسنة والإجماع أن ا يوصف بالسكوت } [مجمـوع الفـتاوى ٦/ ١٧٩] .

(١٣١)سورة الزمر : الآية ٧ .

(١٣٢)سورة المائدة : من الآية ٣ .

(١٣٣)سورة طه : الآية ٨٤ .

(١٣٤)سورة البينة : من الآية ٨ .

(١٣٥)سورة التوبة : الآية ٩٦ .

(١٣٦)النهاية ٢٣٢/٢ . وانظر : تحفة الأحوذي ٩/١٠ .

(١٣٧)انظر : جواب أهل العلم والإيمان لابن تيمية ١٥٢/١٧ .

(١٣٨)سورة المائدة : من الآية ١١٩ ، وسورة التوبة : من الآية ١٠٠ ، وسورة البينة : مـن الآية ٨ .

(١٣٩)سورة الفتح : من الآية ١٨ .

(١٤٠)سورة المائدة : من الآية ١١٩ .

(١٤١)سورة المائدة : من الآية ٣ .

(١٤٢)انظر : جواب أهل العلم والإيمان ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٥٢/١٧ .

(١٤٣)قال ذلك الفخر الرازي - عفا ا عنه - . شرح قصيدة ابن القيـم ٢٠٨/١ ، ووفيـات الأعيان ٢٥٠/٤ ، وشرح الطحاوية ص ٢٤٤ .

(١٤٤)سورة طه : الآية ٥ .

(١٤٥)سورة فاطر : من الآية ١٠ .

(١٤٦)سورة الشورى : من الآية ١١ .

(١٤٧)سورة طه : من الآية ١١٠ .

(١٤٨)شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٢ ، شرح قصيدة ابن القيم ٢٠٨/١ .

(١٤٩)قال ذلك الشهرستاني محمد بن عبدالكريم . شرح الطحاوية ص ٢٤٤ .

(١٥٠)أعلم المتأخرين ، جامع طرق المذاهب ، الإمام الكبير شيخ الشافعية ، إمام الحرمين ، أبو المعالي عبدالملك بن عبد ا بن يوسف ابن عبد ا ... الجويني ، ثُم النيسابوري ، ولـد سـنة ٤١٩ هـ ، وتوفي سنة ٤٧٨ هـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٤٦٨/٨ - ٤٧٦ ، والأعلام ١٦٠/٤ ، وطبقات الشافعية ٢٤٩/٣ - ٢٥٣ .

(١٥١)شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٤٥ .

(١٥٢)المعتزلة : إحدى الفرق المنتسبة إلى أهل القبلة ، سموا بذلك لاعـتزالهم المسلميـن أو لاعتزالهم مجالس الحق فقد اعتزل رئيسهم مجالس الحسن البصري فسماهم الحسن معتزلـة ، وقـد أجمعت على نفي الصفات والقول بخلق القرآن وأن العبد يخلق فعله ، وأن مرتكب الكبيرة مخلد فـي النار ، ونفوا الشفاعة ويرون الخروج على الأئمة . انظر : البرهان في عقائد أهل الأديان للسكسكـي ص ٣٦ - ٢٧ ، والفرق بين الفرق ص ١١٤ - ١١٧ .

(١٥٣)انظر : مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٢٦٦ ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ١٤٩/١٧ .

(١٥٤)انظر : جواب أهل العلم لابن تيمية ضمن الفتاوى ١٤٩/١٧ .

(١٥٥)انظر : السابق ٣٢٩/٦ .

(١٥٦)جامع علم الإمام أحمد ، المفسر ، العالم بالحديث ، الحافظ الفقيه ، شيخ الحنابلة وعالمهم ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال ، تتلمذ على المروزي وغيره من كبار العلمـاء ، ورحل إلى فارس والشام والجزيرة يطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته ، توفي سنة ٣١١ هـ ـ . انظر : سير أعلام النبلاء ٢٩٧/١٤ - ٢٩٨ ، وتاريـــخ بغداد ١١٢/٥ - ١١٣ ، والبداية والنهاية ١٤٨/١١ .

(١٥٧)انظر : العقيدة للإمام أحمد برواية الخلال ١٠٩/٢ .

(١٥٨)هم : أتباع أبو محمد عبد ا بن سعد بن كلاب القطان ، وهم من أقرب المتكلميـن إلـى السنة ، من أقوالـهم : إن أسماء الباري لا الباري ولا غيره ، والوصف بأنه كريم ليـس صـفات الفعل ، والكلام من صفات النفس . انـــظر : سـير أعـلام النـ بلاء ؟١٧٤/ - ١٧٦ ، ومقـاولات الإسلاميين ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ٥١٧ .

(١٥٩)هم : أتباع أبي الحسن بن سالم القائلين بأن صفات الأفعال بغير المشيئـة والإرادة ، وأن القرآن حروف وأصوات قديمة ، ويوافقون أهل السنة في أكثر مسائل الاعتقاد فهم من أقرب الطوائف إلى أهل السنة . انظر : النبوات لابن تيمـــية ١٤٣/٢ ، وشرح قصيدة ابن القيم ٢٧٩/١ ، ٢٨٨ .

(١٦٠)انظر : رسالة في الصفات ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢١٧/٦ .

(١٦١)انظر : السابق ٢٢٠/٦ .

(١٦٢)أوحد زمانه في المعقول وعلوم الأوائل ، إمام التفسير ، المتكلم ، أحد فقهاء الشافع ية ، والمشهور بالتصانيف الكبار والصغار ، المعظم عند الملوك ، أبو المعالي وأبو عبد ا محمد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التيمي البكري المشهور بالفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ . انظر : البداية والنهاية ٥٥/١٣ - ٥٦ ، والأعلام ٣١٣/٦ .

(١٦٣)صاحب المصنفات في الأصلين ، الحنبلي ثُم الشافعي ، الأصـولي المنطقـي الجـدلي ، صاحب الأخلاق، سليم الصدر أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد بن سـالم الثعلـبي الآمـدي ثُـم الحموي ثُم الدمشقي ، المتوفى سنة ٦٣١ هـ . انظر : البداية والنهاية ١٤٠/١٣ - ١٤١ ، وطبقات الشافعية ١٢٩/٥ ، والأعلام ٣٣٢/٤ .

(١٦٤)انظر : رسالة في الصفات لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٢٢١/٦ .
(١٦٥)انظر : جواب أهل العلم ضمن فتاوى ابن تيمية ١٤٩/١٧ .
(١٦٦)انظر : تفسير القرطبي ٢٣٧/١٥ .
(١٦٧)انظر : رسالة في الصفات ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٣٣/٦ .
(١٦٨)ذكره الضياء المقدسي في المختارة ، وقـال : { إسـناده صـحيح } ٢٧٢/٦ - ٢٧٣ ، والدارقطني في رؤيـة ا ٨٠/١ ، ٨١ ، والآجري في التصديق بالنظر ٦٧/١ وقـال : { حديـث صحيح } ، والهيثمي في مسند الحارث ٣٠١/١ ، وفي مجمع الزوائـد للهيثمـي ٤٢١/١٠ - ٤٢٢ وقال : { رواه البزار والطبراني في الأوسط بنحوه وأبو يعلى باختصار ، ورجال أبـي يعلـى رجـال الصحيح ، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح غير عبدالرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم وإسناد البزار فيه خلاف } ا هـ . وذكره المنذري في الترغيب والترهيب وقال : { رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط بإسنادين أحدهما جيد ... } .
(١٦٩)انظر : رسالة في مسألة تأويل الصفات لابن تيمية ضمن مجموع الفتاوى ٤٤/٦ .
(١٧٠)انظر : درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١٢٧/١ - ١٢٨ .
(١٧١)انظر : منهاج السنة ١١٥/٢ .
(١٧٢)انظر : شرح حديث النزول ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٥١/٥ ، ومنهاج السنة ١١٦/٢ .
(١٧٣)انظر : شرح حديث النزول ضمن فتاوى ابن تيمية ٣٥٢/٥ .
(١٧٤)انظر : رسالة في مسألة تأويل الصفات لابن تيمية ضمن الفتاوى ٤٦/٦ .
(١٧٥)سورة المائدة : من الآية ١١٩ .
(١٧٦)سورة الفتح : من الآية ١٨ .
(١٧٧)سورة البينة : من الآية ٨ .
(١٧٨)انظر : رسالة في مسألة تأويل الصفات ضمن بمجمـوع فتـاوى ابـن تيميـة ٤٦/٦ ، والتدمرية ص ٣٢ - ٣٣ .
(١٧٩)بيان تلبيس الجهمية ٤٣١/١ ، ١٦٤/٢ ، وذم التأويل لابن قدامة ص ٢٢ .
(١٨٠)ذم التأويل ص ٢٣ .
(١٨١)انظر : شرح صحيح مسلم للنووي ١٠/١٢ ، والديباج للسيوطي ٣١٩/٤ .
(١٨٢)ذم التأويل لابن قدامة ص ١١ ، تحقيق : بدر البدر .
(١٨٣)ذم التأويل ص ١٩ .
(١٨٤)سورة محمد : من الآية ١٩ .
(١٨٥)سورة الإخلاص : الآية ١ .
(١٨٦)سورة الكافرون : الآية ١ .
(١٨٧)انظر : الرسالة التدمرية ص ٥ .
(١٨٨)ذم التأويل لابن قدامة ص ١١ .
(١٨٩)طريق الهجرتين ٤٣١/١ .
(١٩٠)انظر : مدارج السالكين ٢٥٤/١ .
(١٩١)انظر : رفع الأستار للأمير الصنعاني ١٤٢/٢ .
(١٩٢)سورة التوبة : من الآية ١٠٠ .

(١٩٣)سورة البينة : الآيتان ٧ ، ٨ .

(١٩٤)تفسير ابن كثير ٥٣٨/٤ .

(١٩٥)سورة التوبة : الآية ٩٦ .

(١٩٦)سورة محمد : من الآية ٢٨ .

(١٩٧)سورة الفتح : من الآية ٢٩ .

(١٩٨)تفسير ابن كثير ٢٠٤/٤ .

(١٩٩)سورة التوبة : الآية ٧٢ .

(٢٠٠)أخرجه البخاري في تفسير سورة الرحمن ، باب : { ومن دونهما جنتَان } ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١٦٣/١ .

(٢٠١)أخرجه مسلم في كتاب الجنة ، باب صفة خيام الجنة وما للمؤمنين ٢١٨٢/٤ ، وأخرجه بنحوه البخاري في كتاب التفسير ، باب حور مقصورات في الخيام .

(٢٠٢)انظر : صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، وصحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب بيان ما أعد الله للمجاهد في الجنة من الدرجات .

(٢٠٣)أخرجه الحاكم في المستدرك ٨٢/١ ، وقال : { هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه } ووافقه الذهبي في التلخيص ، وأخرجه الطبراني في الأوسط ٢٦/٩ ، وقال ابن كثير لما أورده في تفسيره ٣٧١/٢ : { رواه البزار من حديث الثوري ، وقال الضياء المقدسي في مختاراته في كتاب صفة الجنة : (هذا عندي على شرط مسلم) } قلتُ : لم أجده في المختارات .

(٢٠٤)العقل وفضله لابن أبي الدنيا ص ٤١ .

(٢٠٥)سورة يونس : الآية ٢٦ .

(٢٠٦)أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ١٧٠/١ ، والبخاري بنحوه في باب قول الله تعالى : { وجوه يومئذٍ ناضِرةٌ ، إِلى ربها نَاظِرةٌ } ، والدارقطني في رؤية الله ٢٦/١ .

(٢٠٧)ذكر ذلك ابن المبارك في الزهد ص ٢٧٤ فيما روي من وصايا لقمان لابنه .

(٢٠٨)سورة التوبة : الآيات ٢٠ - ٢٢ .

(٢٠٩)سورة الحشر : الآية ٨ .

(٢١٠)تفسير ابن كثير ٣٣٧/٤ .

(٢١١)سورة طه : الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

(٢١٢)انظر : تفسير ابن كثير ١٦١/٣ .

(٢١٣)سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(٢١٤)انظر : تفسير ابن كثير ٣١٣/٤ .

(٢١٥)سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

(٢١٦)تفسير ابن كثير ٣٢٩/٤ .

(٢١٧)سورة مريم : الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .

(٢١٨)سورة طه : الآية ١٠٩ .

(٢١٩)سورة النجم : الآية ٢٦ .

(٢٢٠)سورة الأنبياء : من الآية ٢٨ .

(٢٢١)انظر : شرح حديث النزول للشيخ ابن عثيمين ص ٥٧ .

(٢٢٢)سورة النمل : الآيات ١٧ - ١٩ .

(٢٢٣)تفسير ابن كثير ٣٦٠/٣ .

(٢٢٤)سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

(٢٢٥)انظر : تفسير ابن كثير ٢٤٨/١ .

(٢٢٦)رواه الإمام أحمد في المسند ٢٧٩/٥ ، وقال الهيثمي فـي مجمـع الزوائـد ٢٠٢/١٠ : { ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة } ، وقال ابن حجر فـي الفتـح ٤٦٢/١٠ : { ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقائق ففيه : { ولايزال عبدي يتقرب إلـي بالنوافـل حتـى أحبه } الحديث . وانظر : تحفة الأحوذي للمباركفوري ٤٨٣/٨ .

(٢٢٧)سورة آل عمران : الآية ١٦٢ .

(٢٢٨)تفسير ابن كثير ٤٢٥/١ ، وانظر : تفسير الطبري ١٦١/٤ .

(٢٢٩)سورة التوبة : الآية ١٠٩ .

(٢٣٠)سورة النساء : الآية ١١٤ .

(٢٣١)سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢٣٢)تفسير ابن كثير ٥/٣ .

(٢٣٣)السابق ٥/٣ .

(٢٣٤)ذكره الضياء المقدسي في الأحاديـث المختـارة ٢٧٢/٦ - ٢٧٣ ، وقـال : { إسـناده صحيح } ، وسبق باقي تخريجه

(٢٣٥)سورة آل عمران : الآية ١٥ .

(٢٣٦)حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ٧/١ .

(٢٣٧)أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ... ، باب التسبيح أول النهار وعند النوم ٢٠٩٠/٤ ، وابن حبـــــان في صحيحه ١١٣/٣ ، وابن خزيمة في صحيحه ٣٧٠/١ ، وأحمد في المسند ٦/ ٣٢٤ ، ٤٢٩ ، والطبراني في المعجم الكبير ٦١/٢٤ ، والترمذي في الدعوات ، بـاب ١٠٤ وقـال : { حسن

صحيح } ٥٥٥/٥ ، وابن ماجة في كتاب الأدب ، باب فضل التسبيح ١٢٥١/٢ ، وغيرهم .

(٢٣٨)المنار المنيف لابن القيم ٣٦/١ .

(٢٣٩)سورة الملك : الآية ٢ .

(٢٤٠)سورة الكهف : من الآية ٧ .

(٢٤١)سورة هود : ٧ .

(٢٤٢)أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها ، بألفاظ متعـددة وطرق متعددة ، والبيهقي في السنن الكبرى ١٨٨/١٠ ، وابن حبان في صحيحه ٣٨٧/٢ ، وأحمد في عدة مواضع من المسند منها ٣١٦/٢ .

(٢٤٣)سورة المؤمنون : من الآية ٥٣ ، وسورة الروم : من الآية ٣٢ .

(٢٤٤)الأربعون الصغرى ٣٠/٢ .

قلتُ : وقول البيهقي - رحمه ا - هذا ليس هو الصحيح في إثبات صفة الفرح - تعالى - وإن كان يدل على معنى من معاني الرضا ، والصحيح أن صفة الفرح - تعالى - على مـا يليق بجلاله وعظمته ، كسائر صفاته ، وتأويلها بالرضا ليس صحيحاً ، وإنما هـو مـذهب أهـل التأويـل

والتعطيل ، وإلا فالصفة له على ما يليق به ، معناها معلوم في اللغة العربية وكيفها مجهول ، والإيمان بها واجب ، كما ثبتت في النصوص ، ومنها هذا الحديث .

(٢٤٥)سورة مريم : الآية ٩٦ .

(٢٤٦)أخرجه الطبراني في الأوسط ٥٧/٢ - ٥٨ ، وقال : { لايروى هذا الحديث عن ثوبان إلا بهذا الإسناد تفرد به ميمون } ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٧٢/١٠ ثم قال : { رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات } .

(٢٤٧)أخرجه البخاري في كتاب بدء الخالق ، باب ذكر الملائكة ، وفي مواضع أخرى ، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب إذا أحب ا عبداً حببه إلى عباده ٢٠٣٠/٤ .

(٢٤٨)هو : عمرو بن مالك بن قيس بن بجيد الرواسي كوفي وفد على النبيشمع أبيه فأسـلما ، وقال قوم : إن الصحبة لأبيه . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ٦٧٥/٤ ، والاستيعاب لابن عبدالبر ١٢٠٠/٨ ، والطبقات الكبرى لابن سـ ـ ـعد ٣٠٠/١ .

(٢٤٩)أخرجه أبو يعلى في مسنده ٢٣٦/١٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان ٣١٢/٦ ، وابن حبان في الثقات ٢٧٠/٣ . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٢/١٠ : { رواه البزار من رواية طارق عن عمرو بن مالك ، وطارق ذكره ابن أبي حاتم ولم يوثقه ، ولم يجرحه وبقية رجاله ثقات } ا هـ

(٢٥٠)أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول ا تعالى : { ويحـذركُم اللـه نَفْسـه } ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء ... باب الحث على ذكر ا ٢٠٦١/٤ ، وباب فضل الـذكر والـدعاء والتقرب إلى ا تعالى ٢٠٦٧/٤ .

(٢٥١)أخرجه البخاري في كتاب الرقائق ، باب التواضع ، وابن حبان فـي صـحيحه ٥٨/٢ ، وأحمد في المسند ٢٥٦/٦ وغيرهم .

(٢٥٢)أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ٢٠٧٥/٤ ، وابن حبان في صحيحه ٩٥/٣ ، والطبراني في الدعاء ص ٥٢٩ ، وأبو يعلى في مسنده ٣٨١/١٣ ، وأحمد في المسند ٩٢/٤ والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ماجاء في القوم يجلسـون فيذكرون ا ... ٤٥٩/٥ ، وغيرهم .

(٢٥٣)سورة الأنعام : الآية ١٥٤ .

(٢٥٤)سورة الرحمن : الآية ٦٠ .

(٢٥٥)تفسير ابن كثير ١٩٢/٢ .

(٢٥٦)سورة يونس : من الآية ٢٦ .

(٢٥٧)انظر : تفسير ابن كثير ٤٨٥/٢ .

(٢٥٨)المنار المنيف لابن القيم ص ٣٢ .

(٢٥٩)انظر : المنار المنيف ص ٣٣ .

(٢٦٠)انظر : عدة الصابرين لابن القيم ٢٣٨/١ .

(٢٦١)سبق تخريجه في ص ٩ . وانظر : أصول الإيمان للشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه ا ص ٤٤ .

(٢٦٢)انظر : تفسير ابن كثير ٣/١ .

(٢٦٣)أخرجه ابن أبي حاتم كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره ٢٣/١ .

(٢٦٤)أخرجه بنحوه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب في صفات الجنة وأهلها ... ٤/

٢١٨١ ، وابن حبـان في صحيحه ٤٦٢/١٦ ، والدارمي في كتاب الرقاق ، باب في أهل الجنة ونعيمها .

(٢٦٥)سورة الزمر : من الآية ٧ .

(٢٦٦)انظر : رسالة في الصفات الاختيارية ضمن مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٢٦/٦ .

(٢٦٧)روضة المحبين لابن القيم ص ٤٣٧ .

(٢٦٨)سورة طه : الآيتان ٨٣ ، ٨٤ .

(٢٦٩)روضة المحبين : ص ٤٣٧ .

(٢٧٠)سورة الفتح : الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٢٧١)أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أصحاب الشجـرة أهـل بيعـة الرضوان ١٩٤٢/٤ ، وأحمد في المسند ٦٩٥/5 ، وقال : { حسن صحيح } ، وغيرهم .

(٢٧٢)أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير ، باب الجاسوس ، وقول ا تعالى : { لاَتَتخِذُوا عدوي ... } ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر رضي ا عنهـم وقصـة حاطب بن أبي بلتعة ، وأحمد في المسند في مواضع منها ٣٣٠/١ ، وأبو يعلى في مسنده ٣١٦/١ .

(٢٧٣)انظر : عون المعبود ٢٦٤/١٢ .

(٢٧٤)سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

(٢٧٥)الرسالة الأكملية لابن تيمية ضمن الفتاوى ٩٤/٦ .

(٢٧٦)سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - الأحاديث المختارة : أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما ، ضياء الدين ، أبو عبد ا محمد بن عبدالواحد المقدسي ، ط الأولى ١٤١٢ هـ ، مكتبـة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ، دراسة وتحقيق : د . عبدالملك بن دهيش .

٣ - الأربعون الصغرى : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : أبـو إسـحاق الحوينـي الأثري ، ط الأولـى ١٤٠٨ هـ ، نشر دار الكتاب العربي ، بيروت .

٤ - الاستقامة : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ ، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٥ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف بن عبد ا بن محمـد بن عبـدالبر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، مطبعة نهضة مصر .

٦ - أصول الإيمان : للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، تحقيق : د . باسم الجوابرة .

٧ - الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ، ط الأولى ١٣٢٨ هـــ ، نشـر : دار العلوم الحديثة .

٨ - الاعتقاد : لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : أحمد عصام الكاتب ، ط الأولـى ١٤٠١ هـــ ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

٩ - البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الرياض الحديثـة بالريـاض ، ومكتبة المعارف ببيروت .

١٠ - البرهان في عقائد أهل الأديان : للسكسكي ، دار التراث العربي ١٤٠٠ هـ .

١١ - بيان تلبيس الجهمية : لابن تيمية ، تحقيق : محمد بـن عبـدالرحمن القاسـم ، مطبعـة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٢ هـ .

١٢ - تأريخ بغداد ، أو مدينة السلام : للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيـب البغـدادي ، دار الكتب العالمية ببيروت .

١٣ - تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي : لمحمد بن عبـدالرحمن المبـاركفوري ، نشـر دار الكتب العلمية ببيروت .

١٤ - التدمرية : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد السعوي ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ .

١٥ - الترغيب والترهيب : لعبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، ط الأولى ١٤١٧ هـ نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

١٦ - التصديق بالنظر : لمحمد بن حسين الآجري ، تحقيق : سمير الزهيري ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت .

١٧ - التعريفات : لعلي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر دار الكتاب العربي ببيروت .

١٨ - التوقيف على مهمات التعاريف : لمحمد بن عبدالرؤوف المناوي ، تحقيـق : د . محمـد رضوان الداية ط الأولى ١٤١٠ هـ ، نشر : دار الفكر ببيروت ودمشق .

١٩ - تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، دار الفكر ببيروت ، ١٤٠١ هـ .

٢٠ - الثقات : لابن حبان البستي ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد ، ط الأولى ١٣٩٥ هـــ ، نشر : دار الفكر .

٢١ - الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد ا محمد بن أحمد القرطبي ، دار الكتـب ، نشـر : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧ هـ .

٢٢ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطـبري ، ط الثــالثة ، البابي الحلبي بمصر ١٣٨٨ هـ .

٢٣ - الجامع الصحيح المختصر : لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى البغا ١٤٠٧ هـ ، دار ابن كثير واليمامة .

٢٤ - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) : لمحمد بن عيسى أبي عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبدالباقي ، وإبراهيم عطوة عوض ، نشر المكتبة الإسلامية .

٢٥ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٢٦ - حاشية ابن القيم على سنن أبي داود : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت سنة ١٤١٥ هـ .

٢٧ - خلق أفعال العباد : لمحمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : د عبدالرحمن عمـيرة ١٣٩٨ هـ ، نشر دار المعارف بالرياض .

٢٨ - درء تعارض العقل والنقل : لابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمـام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٣٩٩ هـ .

٢٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لجلال الدين السيوطي ، نشر دار الفكر ببيروت ، سنة ١٤١٤ هـ .

٣٠ - الدعاء : لسليمان أبي القاسم الطبراني ، تحقيق : مصطفى عبـدالقادر عطـا ، ط الأولـى ١٤١٣ هـ نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٣١ - الديباج على صحيح مسلم : لجلال الدين السيوطي ، تحقيق : أبي إسحاق الأثري ، نشـر دار ابن عفان بالخبر ١٤١٦ هـ .

٣٢ - ذم التأويل : لموفق الدين ابن قدامة المقدسي ، الدار السلفية ، الكويت .

٣٣ - رؤية ا : لعلي بن عمر الدارقطني ، تحقيق : مبروك إسماعيل مـبروك ، نشـر مكتبـة القرآن بالقاهرة .

٣٤ - الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمـة ، أو عقيـدة السلـف أصـحاب الحديث : لأبي إسماعيل الصابوني ، تحقيق : بدر البدر ، نشر الدار السلفية بالكويت .

٣٥ - رفع الأستار : لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، تحقيق : الشيخ محمد ناصـر الديـن الألباني ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر المكتب الإسلامي ببيروت .

٣٦ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين : لابن القيم الجوزية ، نشر دار الكتب العلمية ببـيروت سنة ١٤١٢ هـ .

٣٧ - الزهد : لعبد ا ابن المبارك المروزي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمـي ، دار الكتـب العلمية ببيروت .

٣٨ - الزهد وصفة الزاهدين : لأحمد بن محمد ابن الأعرابي ، تحقيق : مجدي فتحي السيـد ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ نشر دار الصحابة بطنطا ، مصر .

٣٩ - سنن أبي داود : للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : عـزت الـدعاس ، دار الحديث بحمص سوريا .

٤٠ - سنن أبي داود : للحافظ سليمان بن الأشعث ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ببيروت .

٤١ - سنن الدارمي : لأبي محمد الدارمي ، دار الكتب العلمية ببيروت ، نشر دار إحياء السنـة النبوية .

٤٢ - سنن ابن ماجة : للحافظ أبي عبد ا محمد بن زيد بن ماجة ، دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيع .

٤٣ - السنن الكـبرى : لأحمد بن شعيب النسـائي ، تحقيـق : د . عبـدالغفار البنـداري ، وسـيد كسروي ، ط الأولى ١٤١١ هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

٤٤ - السنن الكبرى : للبيهقي ، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، مكتبة دار الباز بمكة المكرمـة ١٤١٤ هـ .

٤٥ - سير أعلام النبلاء : لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة .

٤٦ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي ، دار الآفاق الجديد ببيروت .

٤٧ - شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : لهبة ا بن الحسن اللالكـائي ، تحقيـق : د . أحـمد سعد حمدان ١٤٠٢ هـ ، دار طيبة بالرياض .

٤٨ - شرح الحافظ السيوطي لسنن النسائي : للحافظ جلال الدين السيوطي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ط الثانية ١٤٠٦ هـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب .

٤٩ - شرح حديث جبريل عليه السلام : للشيخ محمد بن صالح العثيمـن ، دار الثريـا للنشـر والتوزيع ، ط الأولى ١٤١٥ هـ .

٥٠ - شرح العقيدة الأصفهانية : لابن تيمية ، تحقيق : إبراهيم سعيداي ، ط الأولـى ١٤١٥ هـ

، مكتبة الرسالة بالرياض .

٥١ - شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي ، تحقيق : د . عبد ا التركـي وشـعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة

٥٢ - شرح قصيدة ابن القيم : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : زهير الشاويش ، ط الثالثة ١٤٠٦ هـ ، نشر المكتب الإسلامي ببيروت .

٥٣ - شعب الإيمان : لأبي بكر البيهقي ، تحقيق : محمد السعيد زغلول ، ط الأولى ١٤١٠ هـ ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٥٤ - الشكر : لابن أبي الدنيا ، مؤسسة الكتب الثقافية ببيروت .

٥٥ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لمحمد بن حبان البستي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، ط الثانية ١٤١٤ هـ مؤسسة الرسالة ببيروت .

٥٦ - صحيح الإمام مسلم : مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فـؤاد عبـدالباقي ، دار الفكر ببيروت ١٣٩٨ هـ

٥٧ - صحيح مسلم بشرح النووي : للإمام النووي ، دار الفكر ببيروت .

٥٨ - طبقات الشافعية الكبرى : لتاج الدين السبكي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ببيروت .

٥٩ - الطبقات الكبرى : لابن سعد ، دار صادر ببيروت .

٦٠ - طريق الهجرتين وباب السعادتين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : عـمر بن محمود أبـو عمر ، ط الثالثة ١٤١٤ هـ ، نشر دار ابن القيم بالدمام .

٦١ - عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : زكريا علـي يوسـف ، نشر دار الكتب العلمية ببيروت .

٦٢ - العقل وفضله : لابن أبي الدنيا ، تحقيق : لطفي محمد الصغير ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ ـ ، نشر دار الراية بالرياض

٦٣ - العقيدة : للإمام أحمد بن حنبل برواية الخلال ، تحقيق : عبدالعزيز السيروان ، ط الأولـى ١٤٠٨ هـ نشر دار قتيبة بدمشق .

٦٤ - فتح الباري شرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ، المكتبة السلفية .

٦٥ - الفرق بين الفرق : لعبدالقاهر البغدادي ، دار المعرفة ببيروت .

٦٦ - القواعد المثلى في صفات ا وأسمائه الحسنى : للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، عالـم الكتب .

٦٧ - كشف الأستار عن زوائد البزار : لنور الدين الهيثمي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ نشر مؤسسة الرسالة ببيروت .

٦٨ - لسان العرب : لأبي الفضل بن منظور ، دار صادر ببيروت .

٦٩ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، مؤسـسة المعـارف ببيروت .

٧٠ - مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبدالرحمن القاسم ، ط رئاسة الحرمين .

٧١ - مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر الرازي ، دار الفكر ببيروت .

٧٢ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، ط الثانية ١٣٩٣ هـ ، نشر دار الفكر العربي ببيروت .

٧٣ - المستدرك على الصحيحين : للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، وبذيله التلخيص للإمام الذهبي توزيع مكتبة المعارف بالرياض .

٧٤ - مسند أبي يعلى : لأحمد بن علي الموصلي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، ط الأولى ١٤٠٤ هـ نشر دار المأمون للتراث بدمشق .

٧٥ - المسند : للإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي للطباعة ، نشر دار الفكر ببيروت .

٧٦ - مسند البزار : لأبي بكر أحمد بن عمرو البزار ، تحقيق : د . محفوظ الرحمن وزين الله ، ط الأولى ١٤٠٩ هـ مؤسسة علوم القرآن ببيروت ، ومكتبة العلوم والحكم بالمدينة .

٧٧ - مسند الحارثي { بغية الباحث عن زوائد الحارث } : للحارث بن أبي أسامة والحافظ الهيثمي ، تحقيق : د . حسين الباكري ، ط الأولى ١٤١٣ هـ ، نشر مركز خدمة السنة بالمدينة .

٧٨ - مسند الشهاب : لمحمد بن سلامة القضاعي ، تحقيق : حمدي السلفي ، ط الثانية ١٤٠٧ هـ ، نشر مؤسسة الرسالة ببيروت .

٧٩ - مسند الطيالسي : لسليمان بن داود الطيالسي ، دار المعرفة ببيروت .

٨٠ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : لأحمد بن محمد المقرزي الفيومي ، توزيع دار الباز بمكة .

٨١ - المعجم الأوسط : لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبدالمحسن الحسيني ١٤١٥ هـ ، نشر دار الحرمين بالقاهرة .

٨٢ - المعجم الصغير : لابن القاسم الطبراني ، تحقيق : محمد شكور ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ ، نشر المكتب الإسلامي دار عمار ببيروت وعمان .

٨٣ - المعجم الكبير : لأبي القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، ط الثانية ١٤٠٤ هـ ، مكتبة دار الحكم بالموصل .

٨٤ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : هلموت ريتر ، ط الثالثة نشر دار إحياء التراث العربي ببيروت .

٨٥ - الملل والنحل : لأبي الفتح الشهرستاني ، دار المعرفة ببيروت .

٨٦ - المنار المنيف في الصحيح والضعيف : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، ط الثانية ١٤٠٣ هـ نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب .

٨٧ - منال الطالب في شرح طوال الغرائب : لمجد الدين أبي السعادات ابن الأثير ، تحقيق : د . محمود الطناحي طباعة ونشر جامعة أم القرى .

٨٨ - منهاج السنة النبوية : لابن تيمية ، تحقيق : د . محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦ هـ .

٨٩ - الموسوعة الحديثية { مسند الإمام أحمد } : تحقيق : د . عبد الله التركي ، وشعيب الأرناؤوط ومن معهم مؤسسة الرسالة ببيروت .

٩٠ - الموطأ : للإمام مالك بن أنس ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر : دار إحياء التراث العربي ببيروت .

٩١ - ميزان الاعتدال : للإمام محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة ببيروت.

٩٢ - النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة : لابن تغري بردي .

٩٣ - النبوات : لابن تيمية ، نشر المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٨٦ هـ .

٩٤ - النـــهاية في غريب الأثر : لأبي السعادات ابن الأثير الجزري ، تحقيق : طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ١٣٩٩ هـ ، نشر دار الفكر ببيروت .

٩٥ - الوابل الصيب من الكلم الطيب : لابن القيم الجوزية ، تحقيق : محمد عبدالرحمن عوض ، ط الأولى ١٤٠٥ هـ نشر الكتاب العربي ببيروت .

٩٦ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لأبي العباس ابن خلكان ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار صادر ببيروت .
